روايات عبير



جانيت ديلي

عروس السراب

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 113

عروس السراب

الحياة كالصحراء... احياناً تصادف واحة تستظل بها، وتنصب خيامك قرب مياهها، واحياناً تتوه في رمالها فتبتلعك.

تيشا كالدويل فقدت امها فاحتمت بوالدها، لكنه كان قاسياً لخوفه عليها من الحياة وتجاربها، اراد تزويجها وتأمين مستقبلها لكن تيشا تفضل اختيار شريك حياتها، فتهرب الى حنان عمتها المقيمة بعيداً عنها وهناك تصطدم برجل شبيه بوالدها، لا يؤمن بأفكارها.

تكرهه... لكنها تجد نفسها مجبرة على القبول به زوجاً... ليلة العاصفة جعلتها عروساً له... علاقتها به كالسراب يتراءى لها لكنها لا تصل اليه!

لبنان	٨ ل.ل	الكويت	٥٠٠ ف	اليمن	١٠ ر	السودان	[illegible]
سورية	٩ ل.س	الامارات	١١ د	تونس	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الأردن	٦٠٠ ف	البحرين	[illegible]	ليبيا	[illegible]	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٠ ر	المغرب	٩ د	[illegible]	[illegible]

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

VALLEY OF THE VAPOURS

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd.Bungay, Suffolk

١- الابنة الشرسة!

- ماذا تعني بانك سمحت لكيفن جيمسون بأن يتزوجني؟

استوضحت تيشا كالدويل غاضبة، وقد طار شعرها الطويل حول كتفيها حين استدارت فجأة واستقرت عيناها البارقتان على أبيها.

فأجابها من بين اسنانه المطبقة بشدة:

- سمحت له بأن يعرض عليك الزواج منه.

- بدعمك الكامل ومباركتك!

أكملت وهي لا تحاول اخفاء السخرية اللاذعة والصاعدة في مرارة الى حلقها.

حدّقا الى بعضهما بعضا، وكلاهما يحاول، من خلال شخصيته القوية، ان يرغم الآخر على الركون له. كان ريتشارد كالدويل، رجلا طويلا وسيما، ذا بنية رياضية لم تزد مقاس اصبع منذ ان كان طالبا جامعيا، لكن السنوات اضفت عزيمة قوية على وجهه الوسيم حتى الآن وأضافت الى شعره الأسود ذرات من الشيب الوقور.

أما تيشا كالدويل فلم تكن تملك حسن ابيها، اذ ان وجهها البيضاوي كان عادي الجاذبية في حالات الاسترخاء، لكن حين يغضبه الضحك أو الغضب، كما الآن، تبدو آسرة الجمال، وما ورثته عن ابيها من شخصية متفجرة واستقلالية عنيفة. كثيرا ما كانت تثير فيها ومضات الجمال هذه، وفي معظم المرات كان ابوها هو الذي يشعل تلك الشرارات.

وأجاب ريتشارد كالدويل بحدة، وعصبية توازي موقف ابنته الذي يحتويه وقاحة:

- انه شاب محترم ويحترم الآخرين، وهذا ما لا يمكن قوله في هؤلاء الذين تخرجين معهم!

- انه يختلف بالطبع عن أي شاب آخر أخرج معه.

- تقي انه شاب طبيعي معتدل المزاج يتحكم بعواطفه ثم اشار اليها بسبابته غاضبا، واردف قائلا:

- على الأقل، وعندما تعودين معه، لا تبدين متعبة كما لو ان وحشا قد انشب مخالبه فيك.

فقلصت قبضتيها واجابت بعصبية:

- انك تغضبني الى حد يحملني على الصراخ! ان شابين فقط حاولا تخطي حدودهما معي. أما الآخرون فما حاول احدهم ابدا ان ينشب فيّ مخالبه كما تدعي!

فأجاب بحدة وعيناه البنيتان تحدقان غاضبتين في عينيها العاصفتين كبحر صاخب:

- انت مصيبة تماما في انهم لا يحاولون، فهم قبل ان يغادروا هذا البيت معك يدركون ما سينتظرهم مني ان هم مسوك باصبعهم!

فتنهدت تيشا بضيق وقالت:

- في الشهر المقبل سأبلغ العشرين من عمري يا أبي. فهل لك ان تكف عن معاملتي كطفلة؟ اني كبيرة كفاية لاقرر اذا كنت سأتزوج، أو من أتزوج من دون اي نصيحة. كذلك استطيع ان اقرر مع من اخرج واستطيع حماية نفسي عند الضرورة.

فأجاب ساخرا وفي صوته رنة معرفة شخصية تسلطية:

- ليس هناك امرأة تقدر ان تحمي نفسها امام قوة الرجل المتفوقة وحيث من المفروض ان يضطلع ابوها ثم زوجها بمهمة حمايتها.

- أوه، يا الهي! انك تتكلم كأحد رجال القرون الوسطى!

- وقد حان الوقت لاسترجاعها؟

فغمغم ريتشارد كالدويل، وكان على وشك ان ينبسط في الموضوع اكثر حين رن جرس الباب. فقذفته تيشا بنظرة متهكمة واتهمته قائلة:

- احسبك طلبت من كيفن ان يزورنا هذا العصر؟ كل ما أرجوه ان لا يكون أفرغ دراهمه وابتاع لي خاتما، مع اني سأكون سعيدة جدا بان اقذفه في

وجهه.

- تأدبي في ما تقولين يا فتاة!

هتف وهو يهز اصبعه غاضبا في اتجاه ظهرها وقد مشت ثائرة حول حاجز الغرفة الخشبي ثم الى البهو الصغير باتجاه الباب الامامي.

ازاحت بيد عصبية شعرها الاسود المحمر الى خلف ظهرها، وكان يصل خصرها تقريبا، وفتحت الباب بعنف وهي تستعد لمواجهة الرجل الذي توقعت ان تراه على العتبة. لكن المرأة التي كانت تقف هناك رفعت حاجبيها بنظرة متسائلة. حين اطبقت تيشا فمها بوجوم، فعلت فم المرأة ابتسامة مرتبكة، وقالت:

- لدي شعور بأني جئت في وقت غير مناسب.

كانت عيناها البنيتان تلتمعان بضحك صامت، فابتعدت تيشا عن الباب حتى افسحت لها بالمرور. كانت هناك خطوط ضحك حول عينيها وتجعدات خفيفة على جبينها وعنقها تظهران سنها اكثر مما توحي به النظرة الاولى، أما شعرها الاسود القصير كقبعة من الريش، فكان فيه خصلات شيب واضحة.

لم تنتظر تيشا حتى تلحق بها المرأة النحيلة بل تركتها واقفة داخل الباب وعادت تسير بتصلب الى الغرفة.

- انها بلانش

أجابت على سؤال ابيها البادي في حاجبيه المقوسين وهي غير متأكدة من سرورها أو خيبتها لكون الزائر لم يكن كيفن، وغرقت في وسائد الاريكة المزهرة القماش.

فراحت عضلات حنكه تقفز متقلصة وتشير الى ان غضبه، كما غضب تيشا، كان يستعر تحت السطح وصرخ بها قائلا:

- ستخاطبين عمتك كعمة وليس كشخص من معارفك. عليك باحترام الاكبر منك سنا.

وقالت الزائرة:

- اذا خاطبتني وعمتي بلانش، فسوف اضربكما معا.

لكن المرح كان مايزال يكمن في التأنيب الصوتي الحازم حين قالت بلانش كالدويل هذا، وهي تدخل من حول الحاجز.

كانت في بنطالها الاحمر الزاهي والبلوزة الحمراء المزهرة بالأبيض تبدو على النقيض تماما من مظهر العمة العابس. . . فجاهلت نظرة اخيها الرادعة. وقطعت المسافة القصيرة بينهما وطبعت قبلة سريعة على خده. ثم قالت بجفاف:

- وكم يسرني ايضا ان اراك يا ريتشارد!

- انا مسرور لمجيئك.

اجابها بتأكيد وهو يغير جلسته قليلا كي تشمل نظرته اخته وابنته معا، واردف موضحا:

- كنت احاول غرس شيء من التعقل في رأس هذه الفتاة لكنها ترفض ذلك.

- تعقل!

قالت تيشا بصوت مرير مصحوب بما يشبه الضحكة، ثم تابعت وهي تلوح بيدها بشموخ في اتجاه ابيها:

- انه يحاول اقناعي بوجوب زواجي من رجل يشعر بميل له، ولا لسبب الا لأنه شاب محافظ.

- انا لا احاول ارغامك على الاقتران بكيفن جيمسون!

- اذن ماذا تسمي هذه المحاولة؟

فاستدار ريتشارد كالمذهول الى اخته وقال وهو يرفع يديه بحركة قانطة تناشدها التفهم:

- اترين ما اقصد؟ انها تتعمد تحوير كل شيء، وتضع في فمي كلاما لا انوي قوله. . . قلت فقط انه شاب مهذب وانها قد تتزوج شابا ليس في مستواه الخلقي هذا.

- انك لن تطيق أي عريس اختاره بنفسي يا بابا، اذ ستجد في الجميع عيوبا مختلفة، وقد تعترض حتى على لون عيونهم.

ثم استدارت الى عمتها تتوسلها التفهم قائلة:

- انه لا يؤمن بقدرة المرأة على معرفة ما يناسبها، ويعتقد ان من واجبه التدخل في حياتي!

فسارع ابوها يجيبها:

- اذا اخذنا بعين الاعتبار نوعية الشبان الذين تخرجين معهم فلا عجب ان

اشعر بضرورة تدخلي بين حين وحين. فمعظم اصدقائك تساورهم فكرة واحدة ولو اني لم العب دور الأب الحامل في يده بندقية لكانوا وصلوا على الارجح الى مآربهم.

- لو عاد الأمر اليك وحدك، لمنعتني من الخروج مع أي شاب والى ان تجد الرجل الذي ترغب انت في تزويجي منه. انك تحاول ان تملي ارادتك على طريقة لبسي وتزيين وجهي ونوع اصدقائي. . . لقد اصبحت راشدة، فلماذا لا تتقبل هذه الحقيقة؟

- لانك لا تتصرفين كراشدة!

- انت لا تتيح لي مجالا لأتصرف هكذا.

ثم انحنت الى الامام لتضع ثقلا على كلماتها، وتابعت:

- عندما نجلس لتناول الطعام. ماتزال تسألني اذا كنت قد غسلت يدي. انا لست طفلة!

كانت بلانش كالذهول تراقب هذا التبادل صامتة، وبصرها يروح ويجيء بينهما كمن يشهد مباراة في كرة المضرب. وقالت لاخيها وهي تضحك بنعومة:

- أوه، ريتشارد، هل تفعل ذلك حقا؟

فبدا عليه استياء عابر وتمتم بخشونة:

- انها تنسى احيانا ان تغسل يديها من دهان الزيت وذلك يضفي على الطعام رائحة كريهة.

فسألته ابنته:

- كم مرة فعلت ذلك؟ مرة؟ اثنتين؟ لم يتعد الأمر هذا الحد وانا متأكدة.

- اننا نبتعد كثيرا عن موضوعنا الاساسي.

فأكدت له تيشا في غضب:

- كلا لم نبتعد! فنحن نتحدث عن الطريقة التي تحاول فيها ان تتحكم بحياتي اذ تفرض علي باستمرار ما يجب ان ارتدي ومن اقابل وأين اذهب!

- انا ابوك وهذا من حقي.

- وأنا انسانة ومن حقي ان انعم ببعض الخصوصية وان اقترف اخطائي على مسؤوليتي!

كان هناك لهب اخضر غريب يتوهج في عينيها الشعتين ولذا لم تحجب

اهدابها السوداء الكثة عضبها المحموم. وهتف ابوها:

- ما دمت تعيشين في بيتي وتأكلين طعامي فلا بد ان يكون لي رأي في الموضوع.

فأجابت في برود:

- حسنا، قد يكون الحل في وجوب انتقالي منه.

فقال بصوت اقل غضبا.

- هذا حل سخيف ايتها الشابة فأنت لا تكسبين ما يكفي لتعيلي به نفسك، ولا زلت الوصي على المبلغ الصغير الذي أودعته امك باسمك لحين تبلغين الواحدة والعشرين. وأنت بدون ذلك الايراد، وبالقليل الذي تكسبينه، ستكونين محظوظة ان وجدت اكثر من لقمة طعام.

- لقد بدأت افهم معنى الاضطهاد. . . اني افضل الموت جوعا على السكن تحت هذا السقف وحيث تلاحقني بأوامرك.

- اذا كنت مصرة على الاستمرار في التحدث الي بقلة الاحترام هذه، فاذهبي الى غرفتك.

كانت قسمات وجهه تزداد شدة وعبوسا وهو يبذل جهدا خارقا لضبط انفعاله.

- انا لست طفلة وارفض الانصياع لامرك بالذهاب الى غرفتي كما لو كنت صغيرة!

وبالرغم من كل تحديها الظاهري، أحست نفسها تنكمش داخليا امام الغضب اللاهب في وجه والدها، والذي هدد بقوله:

- باتريشا جو كالدويل، انت ما كبرت الى الحد الذي يحول دون ضربك.

تنهدت بلانش ضاحكة فانشق الجو المرعد بين الاب والابنة، وقالت لاخيها:

- لقد تأخرت عشر سنوات على هذا العلاج يا ريتشارد.

كانت تنظر اليه بعطف برفق ثم نظرت الى ابنة اخيها وفي عمق عينيها تفهم دال.

عبس ريتشارد فحجبت عبسته وسامة وجهه للحظة، وسألها متجهما:

- وماذا عساي افعل سوى هذا مع طفلة قوية الشكيمة ومتمردة كطفلتي؟ لو كانت امها موجودة لقدرت ربما ان تتفاهم معها. انا احاول فقط ان افعل ما

اشعر انه الافضل لمصلحتها.

فسألته تيشا وقد خفف ذكر امها من حدة صوتها:

- لكن ماذا عن مشاعري انا يا بابا؟

- اذا سمعت كلامي مرة بدل أن تجادليني طوال الوقت. . .

بدأ ريتشارد كالدويل يقول لكنه اطبق فمه على بقية العبارة، ثم خاطبها قائلا:

- انك لا تقبلين ابدا بالنصيحة وتصرين دائما على معرفة درجة النار بنفسك.

فاقترحت بلانش في هدوء:

- قد ينطبق عليها المثل، البنت سر ابيها.

- لا سمح الله!

صرخت تيشا وهي تنهض عن الاريكة. فاستوضحها ريتشارد:

- الى اين ستذهبين؟

- الى غرفتي، لأني اريد الذهاب اليها من تلقاء نفسي. واذا جاء كيفن فأخبره ان الجواب لا، لن اتزوجه ابدا. كما لا اريد ابدا ان أراه ثانية.

فامتزجت الخيبة بغضبه وهتف من حلق مخنوق:

- لم اقل ابدا انك مضطرة للزواج منه!

فتوقفت تيشا عند الباب واستدارت قليلا لتنظر من وراء كتفها الى الرجل الوسيم الذي هو ابوها. كان ظهرها مايزال مقوسا لكن بعض الهياج كان قد زال من بحر عينيها فقالت له واجمة:

- لا يا بابا، انك لا تأمرني ابدا بأن افعل اي شيء، انك تستعين بسحرك وتلجأ الى الابتزاز العاطفي حتى اجد نفسي في موقف كهذا، وحيث جعلت رجلا، تعلم اني لا احبه، يعتقد بأني قد ارضى الزواج منه. انك تفعل دائما ما تظنه الافضل لمصلحتي.

- وهل عملي هذا خطأ مميت؟

سألها، ولكن صوته أوحى بسحر متملق وابتسم لها مسترضيا، ثم تابع يقول:

- في الواقع انت لم تعطه فرصة للتعارف المتبادل، ومع الوقت قد تجدين في نفسك الاستعداد لحبه.

- لن تلقي سلاحك، أليس كذلك؟ وانا اقصد ما اقوله تماما يا بابا. انا لا اريد ولا استطيع الزواج منه. واذا تزوجت يوما، وقد بدأت اشك كثيرا في رغبتي هذه، فسوف يكون شابا اختاره بنفسي ولن تكون لك اية كلمة في الموضوع.

- لا تكوني سخيفة، فلا مناص لك من الزواج لانه المستقبل الوحيد لأية امرأة... ان الزواج والاولاد يحققان متطلبات المرأة القصوى.

فرفعت تيشا احد حاجبيها استهزاء وردت:

- أحقا؟ أظن ان بلانش لا تشاطرك رأيك. فانا ما رأيت في حياتي بين الزوجات والامهات من هي اكثر قناعة بحياتها ومهنتها من اختك. اني احسد بلانش على حريتها، فحتى انت لا تحاول املاء أوامرك عليها.

هذه المرة لم تعط اباها فرصة للاجابة اذ خرجت الى البهو المؤدي الى غرفتها وهي تعلم ان هذه هي اللحظة المناسبة لانهاء الجدال اذ احرزت النقطة الاخيرة. لاحقتها ضحكة بلانش المجنحة وكذلك غضب ابيها المتطاير. وبعد ان دخلت تيشا غرفتها بلحظات سمعت نقرا خفيفا على الباب فنادت قائلة:

- ادخلي يا بلانش.

دخلت المرأة الاكبر منها سنا وعلى محياها ابتسامة متفهمة لا تخلو من مرح. كان غضب تيشا، المتسبب عن طباعها السريعة الانفعال، قد زال الآن، الا ان نظرة التمرد العميقة كانت ماتزال في عينيها وقالت لعمتها:

- اني اعتذر عن ذلك المشهد المزعج الذي رأيته ولكنك تعرفينه اكثر مما اعرفه ولوقت اطول بكثير.

فأومأت موافقة برأسها المعمم بشعر بني مجعد وقالت:

- هناك أوقات يتصرف فيها ريتشارد كذكر شديد التعصب، وحالته تعكس مدى الغرور الذي اكتسبه من نساء عديدات كن يتسابقن في الماضي الى ارضائه.

- وانا واحدة منهن.

قالت تيشا متنهدة ثم التقطت سترة ملقاة على كرسي وسارت لتعلقها في الخزانة. كان تصميم الغرفة يشكل انعكاسا لشخصيتها الاجتماعية، مشمسا مشرقا ومزينا برشات من الالوان الفاقعة... وتابعت تقول:

- عندما كنت في طور النمو، كان ابي الرجل المثالي بالنسبة الي، كان قويا ونافذا، محبا وعطوفا، وفي وسامته لمسة من الفردية الخشنة. كنت احلم بأن التقي رجلا مثله تماما.

ثم كسا وجهها اسى متجهم وهي تردف:

- حمدا لله على اني لم التق واحدا مثله! الآن صرت افهم لماذا كان يتشاجر مع امي باستمرار.

فأجابت عمتها وهي تسير الى فجوة في غرفة النوم، صممتها تيشا كمكان خاص بها للرسم:

- حسبما اذكر، كانت تلك المشاجرات بين لينور وابيك، تنتهي دائما بالضحك والقبلات، فلو كانت امك ضعيفة الشخصية لما استطاعت ان تؤمن له السعادة التي ذاقها معها. ريتشارد ما استطاع ان يسيطر عليها ولهذا السبب احبها.

- على كل، انه لم يكف عن محاولته للسيطرة علي!

- لا اعتقد انه سينجح يوما في السيطرة عليك، فأنت تشبهينه كثيرا وتشبهين امك.

- اذن لماذا لا يقدر ان يرى هذا التشابه؟ لماذا يرفض الاقرار بأني ادرى بنفسي منه؟

- هناك سببان لهذا يا تيش، السبب الاول يكمن في ان اكثر الآباء صرامة وتحفظاً هم الذين كانوا في شبابهم اصحاب مغامرات عاطفية عديدة، واخي انغمس كثيرا في حماقات الشباب قبل ان يلتقي لينور ويتزوجها.

توقفت قليلا لتراقب وقع اعترافها على وجه ابنة اخيها، ولما تأكدت من وقعها الايجابي تابعت قائلة:

- ثانيا، ان رحيل امك وانت بعد في الرابعة عشرة من عمرك، زاد ريتشارد تحسسا بعجزه وليته تجاهك. هو يدرك بالطبع انك لا تستطيعين أخذ مكانها، لكنه يشعر ان الواجب الابوي يحتم عليه التدخل الفعال في حياتك وبمقدار اكبر مما لو كانت امك حية، أو لو كانت لديك عمة تزوركما باستمرار وليس فقط حين تروق لها الزيارة.

وسرعان ما تألقت قسمات تيشا بابتسامة مشرقة وقالت:

- أوه، بلانش، لا يمكن ان ابدلك بأية عمة اخرى، فدائما تأتين هنا في

الوقت المناسب وحين اكون في حاجة الى شخص اتحدث معه والى ان اضع مشاكلي الصغيرة في منظارها الصحيح.

- يسرني ان اتمكن من مساعدتك من حين لآخر.

فأكدت لها تيشا قائلة:

- بل انت تساعدينني دائماً. والآن، أخبريني، ما الذي جعلك تتركين عملك في حقل اوزارك في هوت سبرينغز وتقطعين كل هذه المسافة الى ليتل روك؟ أنا واثقة من انك ما اتيت فقط لتلعبي دور الحكم بيني وبين والدي؟

فافتر ثغرها عن إبتسامة مازحة واجابت:

- ابرر مجيئي بأني انوي شراء بعض اللوازم الفنية، لكن السبب الحقيقي الذي دفعني الى المجيء هو شعوري بالذنب لاني منذ مدة طويلة لم ازر عائلتي، انت وريتشارد. احياناً انسى مرور الزمن.

- ونحن لم نستقبلك بما يليق بك.

كان التكدر يغشي عينيها الخضراوين وهي تنظر الى عيني عمتها البنيتين والمتألقتين لطفاً.

فأجابتها بلانش وهي تضحك بسهولة:

- أرجو الا اكون اطلت الغياب حتى يحتاج استقبالي الى عزف ابواق وبسط سجادة حمراء!

وكأنما لتبعد مجرى الحديث عن نفسها، استدارت المرأة النحيلة الى حيث معروضات الرسوم المحزة متوضعة في انحاء الاستديو الصغير وقالت:

- لقد لمح ابوك الى انك لا تلاقين في عملك نجاحاً مادياً يذكر.

فأجابت تيشا متنهدة وهي تسير لتقف الى جوار عمتها:

- هذا صحيح ولسوء الحظ، وينطبق على الاقل على اللوحات التي ارسمها انطلاقاً من قناعتي الخاصة. اني استمتع بالتصريح اني ذات كفاءة تجارية انما لا أملك موهبة فريدة من الناحية الفنية، فريشتي تفتقر الى تلك الضربة العبقرية التي توجهها كما هو الحال مع ريشتك.

فتفحصت بلانش لوحة ساكنة من الماضي تمثل مخضة زبدة قديمة تجثم في زاوية شرفة ارضية خشبية وحيث ازهار دوار الشمس تطل برؤوسها الذهبية من فوق الحاجز... وقالت:

- لا ضير في ان تكوني فنانة تجارية يا تيشا. ماذا كنت تبيعين مؤخراً؟

فأجابت بوجوم يزم شفتيها:

- بعض بطاقات التهنئة، الروزنامات، لكن معظم مبيعاتي كانت اشياء دعائية. أتعلمين يا بلانش، بابا على حق، فأنا لا انتج ما يكفي من المال لأعيل نفسي... اني بالرغم من رغبتي الشديدة في العيش المستقل، سأضطر الى الاعتماد على صدقات والدي.

وبحركة ملؤها الخيبة ازاحت شعرها الطويل الى خلف اذنها وحيث التقطت الخصلات الحريرية نور الشمس المتدفق من النافذة وأحال لونها، الذي يبدو احمر قاتماً تحت الاضواء الاصطناعية، الى لون ذهبي محمر كما النار.

وهتفت وصوتها يتماوج بغضب مكتوم:

- اتمنى احياناً لو اني ولدت طفلاً ذكراً. فالفتاة يتحكم بها اهلها حتى تتزوج، ثم تصبح عبدة لنزوات زوجها لمدى حياتها. اظن اني اكره كل الرجال، ان الطريقة التي حاولوا اقناعنا من خلالها بانهم افضل بكثير من النساء. هي مثيرة للقرف... انا الجنس الاضعف لكوننا اعطينا عضلات اضعف وعقل اكبر فالمرأة يمكنها دائماً ان تتغلب على الرجال بذكائها.

فرمقتها عمتها بنظرة بارقة وسألتها:

- من الذي خيب آمالك بجنس الرجال، هذا الشاب المدعو كيفن ام ابوك؟

- لا هذا ولا ذاك، انما اظن انه مزيج من كل شاب عرفته.

أجابتها تيشا بحدية مريرة تخالطها سخرية، وتابعت:

- قيل لي مرة ان الفتاة اذا ارادت اجتذاب رجل ما، فما عليها الا ان تصغي اليه جيداً والا تفتح فمها الا لتطرح عليه اسئلة تتعلق به... الرجال يطلبون ان تكون الفتاة جذابة وصامتة في الوقت نفسه، ولا يهتمون بمعرفة انجازاتها أو مواهبها. انهم يتصرفون دائماً وكأنهم يؤدون لك خدمة حين يدعونك الى الخروج معهم.

فقالت بلانش تؤنبها بلطف:

- انت تقرأين الكثير من تلك الكتيبات الداعية الى المساواة المطلقة بين

الجنسين . . . الرجال والنساء هم كائنات بشرية في الدرجة الاولى وكلا الفريقين له اخطاؤه الخاصة به. هل تحاولين القول انك ما شعرت بميل الى بعض هؤلاء الشبان؟

كست وجه تيشا ابتسامة خجولة حين ادركت مدى الغرور الذي بدا في كلامها، وقالت تعترف بصراحة:

- في الواقع اعجبت باكثر من قلائل، لكني ما اوقعت نفسي في وهم الاعتقاد بأني كنت احب ايا منهم، ولهذا السبب على الارجح لم اكن اعارض ابي كثيرا حين كان يأمرني بعدم الخروج مع احدهم. لكني لن اسمح له بأن يأمرني بالزواج من رجل معين.

فقالت عمتها:

- ويشاركه فيه سعادتك بالرغم من كل تدخلاته المتعالية. مع اني اوافقك على انه يظهر هذا الاهتمام بطريقة غريبة. اما الآن وقد عرف مدى معارضتك لهذا الشاب كيفن، فلا اظنه سيرغمك على رؤيته.

- اذا تخلى عن كيفن سيجد لي عريسا آخر.

تذمرت تيشا، ثم تابعت ويداها تطيران في الفضاء بحركة يائسة متوسلة:

- انا احب ابي كثيرا يا بلانش لكن المشكلة اني لا استطيع العيش معه، فما دمت واياه تحت سقف واحد فلن يكف عن محاولاته للتحكم في حياتي. اظن ان الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله هو ان اتخلى عن الرسم وأجد عملا آخر.

استدارت بلانش لتفحص مزيدا من لوحات ابنة اخيها، وقالت:

- لدي فكرة اخرى قد تنجح اكثر وهي ان تنتقلي الى هوت سبرينغز وتعيشي معي.

- هل انت جادة في كلامك؟

كانت تيشا تتنفس بصعوبة وهي لا تصدق انها سمعت جيدا، فبلانش كالدويل كانت تحافظ بكل القوة على حريتها الشخصية وعزلتها الحياتية.

- أجل، جادة تماما. واذا كنت تريدين امتهان الرسم فليس هناك أي داع لتضحي بعملك من اجل المال أو بسبب اب عنيد.

- لكن ماذا سيقول بابا، هل تراه يوافق؟

- وكيف يمكنه ان يجاهر باعتراضه وانت ستكونين تحت حماية اخته ومراقبتها؟

واطلقت بلانش من حلقها ضحكة عميقة لتتناغم مع صوتها المنخفض النبرات.

كانت تجول في ذهن تيشا خاطرة مهمة ترهبها وما لبثت ان ترجمتها الى سؤال متلعثم:

- ماذا عن . . . اقصد . . . هل سيعرقل وجودي . . . عملك؟

فبدت على وجه بلانش الجدي ابتسامة خفيفة واجابت:

- انا انسانة تستمتع بالاختلاء بنفسها وأعيش هكذا من باب التفضيل، لكن هذا لا يعني اني فتاة مزاجية، فباستطاعتي أن ارسم وسط تقاطع طرق يعج بالسيارات ومن دون ان اشعر ابدا بحركة السير، ثم انه يخيل الي بأني سوف استمتع بوجود زميلة معي ولاسيما انها ابنة اخي.

- لا ادري ماذا اقول؟

هتفت تيشا وقد أبهجها تطور الاحداث المفاجيء، الذي كان سيحظى بموافقة ابيها لا محالة. فعلى الرغم من كل مشاحناتها لم تشأ أن تتسبب في افتراق عاطفي بينها وبين ابيها اذا ما اعلنت تمردها وتركت البيت من دون رضاه.

واجابتها بلانش تشجعها:

- اذا كنت تودين البقاء معي فقولي نعم وبكل بساطة، وأنا اضمن لك موافقة والدك . . . أما بالنسبة الى حياتك الاجتماعية فسوف تواجه بالطبع بعض الخواء ولبثما تتعرفين الى اصدقاء جدد.

- ان كنت تقصدين بحياتي الاجتماعية، خروجي مع الشبان فلا اظن اني سأمانع في اخذ اجازة، بل ان هذا الامتناع قد يحسن الصورة التي كونتها عن الجنس الآخر، وجميع الذين صادقتهم مؤخرا بدوا لي في النهاية انانيين وغير ناضجين.

فضحكت بلانش ثانية وقالت وهي تضع يدها على يد تيشا:

- انت تحتاجين يا عزيزتي الى صداقة رجل اكبر سنا من هؤلاء. ذكريني بأن اعرفك الى جاري.

فردت الفتاة باسمة:

- لا تذكري شيئا كهذا أمام بابا لئلا يحرم علي زيارتك والمكوث معك.
- من الظلم الا لا يجد الأباء، وبخاصة الأرامل منهم، غضاضة في اقامة علاقة مع امرأة الا يصرون على مسلك بناتهم الخالي من اية شائبة.

واردفت العمة وفي عينيها بريق حازم:

- لا تفهمي من كلامي اني اشجعك على التمادي. فالعمات ايضا لهن مواقف محافظة مع اننا لسنا شديدات الصرامة كالأبوين.

فقالت تيشا مازحة:

- هل تعنين بقولك ان ضوء مدخلك الخارجي يبقى مشتعلا عشرين دقيقة بعد ان يوصلني الصديق بدلا من الدقائق الخمس التي يحددها لي والدي؟
- شيء من هذا القبيل... يجب ان اذهب الآن لاقنع اباك بطريقة ما، ان فكرة زيارتك لي قد جاءت منه وليس مني. فأنا اعرف مثلك كيف العب على وتر غروره!

٢- لا تلعبي بالنار

بعد عودة بلانش بيومين كانت تيشا في طريقها الى بيت عمتها في ضواحي هوت سبرينغز، أركنساس وسيارتها الوستانغ الصغيرة مكتظة بالثياب وأدوات الرسم الزيتي وبكل اغراضها الشخصية التي لم تحتمل فراقها.

كانت منشرحة القلب، ليس بسبب انعتاقها من سيطرة والدها بل نتيجة لوداعه العاطفي لها وحيث كادت تتمنى ان تعدل عن رحلتها... كادت!

الخريف قد بدأ يطبع بصماته الزاهية على تلال اوزارك المشجرة ويرش أوراق الشجر بلوني الذهب والقرمز وسط خضرة الصنوبر الدائمة التي شكلت تناقضا مباشرا مع الأصباغ الخريفية.

كانت تيشا قد زارت بيت عمتها مرتين فقط منذ ان انتقلت اليه بلانش قبل اقل من عام. الا انها لم تنس تفاصيل الطرق الخلفية المؤدية اليه. والتي وصلوها مقطع ثلاث طرق ريفية محفوفة بالاشجار، خففت من سرعة سيارتها الزرقاء، ثم توقفت، وتذكرت التقاطع بوضوح لأن الطريق التي عليها اتباعها للوصول الى بيت عمتها كانت تلتف صعوداً حول الجبل وذات منعطف مباشر يمنع تيشا من رؤية أية سيارات مقبلة. ولحسن الحظ كان السير خفيفا جدا على هذه الطرق الخلفية ولذا شعرت بشيء من الأمان حين عبرت التقاطع وانعطفت بالسيارة صعودا على الطريق الملتوية.

وما ان اكملت الانعطاف حتى فوجئت بسيارة سبور فخمة وأجنبية الصنع تحوم صوبها هادرة، وهي تأخذ اكثر من حصتها من الطريق. لم

تجد مكانا تلوذ به لتتحاشى السيارة المقبلة لأن حافة التل الى جانبها كانت شديدة الانحدار. لكن مهارة السائق الأخرى في القيادة انقذتها من اصطدام مباشر الا ان الضربة اصابت حاجز سيارتها الأمامي حين ارتطم به جانبيا سيارته.

داست تيشا على الكابح وأوقفت سيارتها وبقيت للحظة مجمدة خلف المقود وهي تحس شللا لكونها نجت بأعجوبة ولم تصب بأي ضرر جسماني عدا احساسها بصدمة معنوية. ثم أرخت بتمهل اصابعها البيضاء المتقلصة حول المقود، وتملكها غضب جارف من رعونة السائق الذي اوقف سيارته قرب تقاطع الطرق.

نزلت تيشا من سيارتها ثائرة واشعة الشمس تزيد شعرها الناري احمرارا لينسجم مع الحنق الملتهب في عينيها الخضراوين. وحملتها ساقاها الطويلتان في خطوات واسعة على المنحدر البسيط الى حيث السيارة الاخرى وكان الرجل يترجل منها في تلك اللحظة.

وبفعل عصبيتها المشتعلة تدفقت منها كلمات الغضب فصرخت فيه:

- ايها الأبله! ماذا كنت ستفعل بنا من جراء انعطافك بهذه السرعة؟ كان من الجائز ان نقتل معا! ألم تكن تدري بأن هناك مقطع طرق على الجانب الآخر من المنعطف، ام كنت تظن ان قيادتك لسيارة مزورقة تعطيك حق المرور وحق احتكارك لحصتي من الطريق؟ ان الناس امثالك يجب الا يسمح لهم بتسلم المقود!

كان طولها خمسة اقدام وست انشات لكنها اضطرت لأن ترفع رأسها كي تنظر الى وجه الرجل الذي كان طوله ينوف على ستة اقدام والشيء النزر. كانت تقاسيمه القوية مكسوة بتعبير جدي الا ان عينيه البنيتين اعطتا انطباعا بأنه كان يبتسم لها... أخذ قلبها يخفق في ايقاع سريع واقنعت نفسها ان الخفقات نتيجة لتأثير الحادثة... وقال لها:

- بعد هذا الخطاب المطول العنيف لا يمكن ان تكوني قد اصبت بأذى.

صوته المنخفض والأجش قليلا كان فيه رنة تبهج السمع لكن تيشا لم تلحظ ذلك لشدة سخطها عليه ولذا اجابته محتدة وهزات رأسها الغاضبة تطير شعرها حول كتفيها:

- وانت لا تشكرني على سلامتي، فلا بد أنك كنت تسوق حول ذلك المنعطف بسرعة سبعين ميلا... ومع ذلك ينتقد الناس قيادة النساء المتهورة!

- لم تصل السبعين، ولو كانت كذلك لما استطعت ان اتحاشى اصطداما مباشرا!

فذكرته تيشا في اقتضاب:

- لو لم تكن مسرعا الى هذا الحد ولو التزمت طريقك لما كنت ضربت سيارتي اطلاقا.

فأجابها وعيناه تحومان بتؤدة على لباسها الأزرق المؤلف من سروال وسترة قطنيين:

- هذه طريق خاصة لا يستعملها الا سكان الجبل فلم اتوقع ان التقي احدا عليها.

فأظهرت ازدراءها بعبارته المغرورة وأجابت:

- هذا ليس تبريرا لقيادتك الرعناء!

فقال بنعومة وهو يمد يده المسمرة من الشمس ويحتقل مرفقها:

- انت معصبية تماما يا حمراء. تعالي نتفحص الضرر الذي الحقته بسيارتك.

ثم ادارها صوبه قبل ان تشعر بما فعل فسارعت الى جذب ذراعها من قبضته وقد لاحظت كيف رفع احد حاجبيه ساخرا من حركتها...

ألقت نظرة سريعة على شعره البني الرملي والملوح بفعل الشمس وعلى تقاطيع وجهه الوسيم والمنحوتة بحادية وخشونة، فنبهتها تلك النظرة الى كونه رجلا معتادا على تخليص نفسه من المواقف الحرجة بسحره وجاذبيته... لكنه سوف يكتشف سريعا بأنها ليست من النوع الذي ينخدع بأقناعاته المعسولة، ولذا غلفت وجهها بتعبير جليدي وهي تسير الى جانبه.

وأثناء مروره بسيارتها ليفحصها من الامام، علق قائلا:

- انها محشوة بالاغراض، فهل تنوين الانتقال الى مكان ما في الجوار؟

- هذا شأن يخصني وحدي.

أحاطته بسخرية قاطعة لكن فمه اختلج ببسمة متسلية. وفكرت تيشا وهي تراقبه يتفحص الضرر، انه في الحقيقة لا يطاق أبدا...

كان يرتدي بزة فخمة من الجلد البني. تظهر بنيته الرياضية الخالية من السمنة. اما شعره البني المائل الى الشقرة فكان كثيفا يميل الى التجعد ولكن تمرده بدا متسجاما مع السحنة غير المروضة في تصرفاته . . . وكانت هناك شبه غمازة في ذقنه البارز الذي يؤكد صلابة عنيفة تبدو في سائر قسماته، اما عمره، فخمنته تيشا في أواسط الثلاثينات، ولم تلحظ خاتم زواج حول اصبعه ولكن قد لا يعني ذلك انه عازب.

- لا يبدو هناك اي ضرر الا في حاجزك الامامي.

أعلن النتيجة وهو يقفل غطاء المحرك . . . شعر بانها كانت تتفحصه فالتقت عيناه بومضة عليمة حين التقتا عينيها، وتابع يقول:

- من السهل تقويم الاعوجاج على يد خبير باصلاح هياكل السيارات، وان كنت ستمكثين في المنطقة، فيمكنني تزويدك باسم رجل محلي ليصلحها لك.

فتمتمت بحلوية فائضة:

- لا ريب انك احتجت الى خدماته في الماضي بسبب طريقتك في القيادة.

فاعترف الرجل وبدون ان يعترف في الواقع بأي شيء:

- لقد استعنت بخدماته في مناسبة أو اثنتين.

فأجابت بحدة وقد عادت الى نبرتها السابق:

- لا أشك في حدوث هذه المناسبات . . . هل تأخذ منه عمولة على الاشغال الكثيرة التي توصيها له؟

فضاقت عيناه قليلا مما جعل عروقها تنبض بخوف مجهول وأجابها وفمه يتحرك بابتسامة خفية:

- هذا شأني الخاص، كما قلت انت قبل قليل، يا حمراء.

فتجاهلت توبيخه وقالت محتدة:

- هذه ثاني مرة تناديني هكذا . . . اسمي ليس حمراء.

فانتقلت عيناه الناظرتان الى احمرار شعرها القاتم والذي بدا نحاسيا في وهج الشمس وسألها:

- هو ليس كذلك؟ اذن ما اسمك؟

ولما رأى تعبير الانغلاق الذي اخذ يتسرب الى وجهها اضاف بسرعة وسخرية:

- اطلب معرفته لصالح شركة التأمين، بالطبع.

ترددت تيشا ولم تشأ ان تخبر هذا الغريب المغرور اي شيء عنها، وفي الوقت نفسه كانت تعلم انه مضطر بالفعل لذكر اسمها لدى شركة التأمين، فاعترفت قائلة على رغم منها:

- باتريشا كالدويل.

- باتريشا.

ردد الاسم مدحرجا اياه في فمه في بطء كما لو انه يتذوق رنته. ثم احتواها بنظرة اعجاب مفصلة فأحست بشيء من التراخي غير انها رفضت الاستسلام للحرارة المفاجئة التي دبت في اوصالها وخمنت ان معظم النساء كن سيستحسرن بابتسامته لو كن في مكانها . . . واجابت في برود:

- الاصدقاء يسمونني تيشا، ولك ان تناديني الآنسة كالدويل.

فعلق وعيناه تلمعان بسخرية:

- آنسة وليس ديانة اختصارا، كما تفعل المطالبات بالمساواة الكاملة بين الجنسين، وقد بدوت لي واحدة منهن.

فأجابته بأنف شامخ:

- لا ارغب في التساوي مع الرجل. لا أود الهبوط الى مستواه!

فالقى رأسه الى الخلف وضحك من قلبه وقال:

- انت فتاة مشاكسة تليقين بيتروتشيو!

فأجابته والشرر يتطاير من عينيها الزيتيتين:

- وشكرا لشكسبير الذي زوجه من كاتارينا (بطلة المسرحية المذكورة) لاني لا ارغب في ان اكون امرأة يروضها رجل أو يسيطر عليها.

فتمتم وعيناه ما تزالان تضحكان بسخرية:

- يا للخسارة! فذلك الترويض قد يكون تحديا مثيرا.

فسألته بجزم:

- هل لنا ان ننتهي من التعليقات الشخصية ونتصرف الى معالجة هذه المشكلة. أي سيارتي المعطوبة؟ هل لك ان تزودني باسم شركة التأمين التابع لها وبعنوانك لديها؟

فانطبع فمه ثانية بتلذذ لم يستطع اخفاءه، لكنه مد يده الى جيب سترته

واخرج دفترا مغلفا بالجلد وقلم حبر، فأخذت تراقب شطحات قلمه الواثقة وهي تطير على الورقة قبل ان ينزعها من الدفتر ويعطيها اياها قائلا:

ـ هذا اسمي ورقم هاتفي ايضا في حال احتجت الى الاتصال بي.

فنظرت اليها مرغمة وقرأت الاحرف الجريئة لاسم وورك ماديسون وتحته رقم هاتفه واسم شركة التأمين.

ـ هل ارتحت لان اسمي ليس بيتروتشيو؟

ـ يهمني فقط اصلاح سيارتي.

ـ من الافضل ان يتم اصلاح الحاجز الامامي في اسرع ما يمكن لأنه لاصق بالدولاب وقد يثقبه لكثرة الاحتكاك.

ـ اني قادرة تماما على اجراء التصليح المطلوب.

فهز كتفيه دلالة على اللامبالاة وقال:

ـ مازلت مستعدا لتزويدك باسم مصلح خبير وموضع ثقة اذ لا أريدك ان تقعي في براثن مصلح تاجر.

ـ تقصد انك لا تريد شركة التأمين ان تقع فريسة احتيال او ان يخسر صاحبك هذه العملية.

ران صمت قصير حين ابتعد الرجل المدعو وورك ماديسون عن مكان السيارة المتضرر ومر بتيشا متجاهلا اياها، ثم وقف خلفها واسند يده الى سطح السيارة. ولما استدارت وواجهته، قال لها وعيناه تراقبانها بشيء من الوقاحة الكسولة:

ـ ليس من المفروض ان تكلف التصليحات كثيرا، فهل ابدو لك كشخص في حاجة الى المبلغ الزهيد الذي من المفترض ان يشكل حصتي من العملية؟

فأطبقت فمها بخط متجهم واعترفت لنفسها بأنه لا يبدو في أي حاجة للمال. فمظهره العام يوحي بالترف لكن هذا الواقع زادها غضبا، فهزت كتفيها وقالت وهي تشيح عنه لتريه انها لم تكن مهتمة به أو بوضعه المادي قيد شعرة:

ـ بما اني سأتعامل مع شركة التأمين وليس معك فلا يهمني امرك البتة.

فأجاب بسخرية قلصت صوته:

ـ أحقا؟ حسبتك تحاولين استفزازي عن تعمد.

ـ لقد عرفت اشكالا متعددة من الغرور الذكري لكن غرورك يتصدر القائمة! هل انت واثق دائما والى حد القرف من ان سحرك ووسامتك هما اقوى من اية معارضة؟

كانت تيشا مشغولة بتصويب احتقارها المجلد على عينيه البنيتين المحدقتين اليها فلم تلحظ تحركه صوبها، وقال لها في هدوء:

ـ لقد عذرت لك عصبيتك الاولى لعلمي بتأثير الصدمة عليك، ثم اعترفت بكامل ارادتي بأني كنت المخطئ. وما حاولت ان ادحض هذا الواقع، لكني لا انوي بحال ان ادعك تسترسلين في قذفي بهذه العبارات الرخيصة.

وما ان انهى تهديده الهادئ، حتى احست تيشا بذراعيه تعتقلانها من الخلف ويوجهه يقترب من وجهها كثيرا مما جعل فمها يجف فجأة.

ـ ماذا تفعل؟

سألته وهي تلفت الخوف الذي زحف الى صوتها حين التصقت جسمها بحاجز السيارة المعدني.

فأجابها وعلى وجهه ابتسامة خالية من المرح:

ـ اذكرك بأننا على طريق ريفية ومهجورة نسبيا.

ـ اذن؟

ـ اذن انت تحت رحمتي، بشكل ما.

هبط بصره الى شفتيها المنفرجتين قليلا من خوف مرتقب لكنها استعادت شيئا من غضبها السابق وقالت بنزق:

ـ لا تكن سخيفا، فلن اكون ابدا تحت رحمة أي رجل، وأقلها رحمتك انت!

فأجابها ساخرا:

ـ لا أدري أيا من العاب الورق تعرفين ولكن في الانواع التي اعرفها انا، يتغلب الشاب على الملكة في كل مرة، وقد يفيدك ان تتذكري ذلك.

تحركت يده نزولا على السيارة فتقلصت عضلاتها استعدادا لمقاومة لمسته، ولكن طقطقة معدنية تبعثر تركيزها فنظرت غريزيا الى جهة الصوت ولمحت رؤية باب السيارة ينفتح. . . عادت تنظر في حذر الى الرجل الواقف امامها وسمعته يقول:

ـ هل تتابعي سيرك يا ذات القبعة الحمراء، أو قد يقرر الذئب ان يأكلك في

آخر لحظة.

وكانت عيناه تضحكان من نظرتها غير المصدقة . . .

لم تحتج تيشا الى دعوة ثانية فسارعت الى أخذ مكانها خلف المقود وبدون ان تأبه لانسحابها من المعركة لشدة امتنانها للخلاص من اهتمامه المرفوض. . . لم تضيع لحظة في القاء نظرة اخيرة عليه وهي تقلع بالسيارة ثم تسرع بها حول المنعطف وتختفي عن العيان.

بعد بضعة دقائق وصلت بيت عمتها وانعطفت بالسيارة الى الممر ذي الاعمدة على الجانبين.

كان البيت يجثم على جانب تل يطل على واد جنوبي ذي غابات مخضوضرة. ولوهلة اولى كان يبدو بناء عاديا من خشب ارز غير مصقول، وريفيا ساذجا ينسجم مع جغرافية المنطقة، لكن الشمس المتلمعة على نوافذ الجناح العلوي كانت تشير الى داخلية البيت العصرية جداً.

لم تلمح بلانش حين أوقفت تيشا سيارتها وترجلت منها. وفي ما هي تهم بتناول بعض اغراضها من المقعد الخلفي، سمعت صوت حجر يتدحرج بين الحصى فاستدارت حولها. كان هناك عنز اسود مرقط بالأبيض يحدق اليها، وقد بدأ يظهر برأسه كوزان صغيران من القرون وتحت ذقنه بداية لحية.

فابتسمت له وقالت:

- من أين أتيت؟

فأجابها العنز بهزة رأس مهددة ولحظت تيشا نظرة عينيه المخيفة. بدا واضحا انه حسبها تعتدي على املاك الغير، ومع ان قرنيه كانا في طور النمو الا انها لم تشأ ان يهاجمها برأسه الناطح، فراعت الا تحدث اية حركة مفاجئة قد تثير غيظه ومدت يدها عبر نافذة سيارتها المفتوحة واطلقت صوت البوق. . .

وحين سمعت الباب الخارجي يفتح، لم تزح بصرها عن العنز وسألت عمتها بتردد:

- أهو صديق لك يا بلانش؟

فردت بلانش ضاحكة:

- لقد تعرفت الى بستاني.

ولدى سماعه صوت عمتها اشاح العنز برأسه عن تيشا وهو يصدر ثغاء. فأمرته بلانش قائلة:

- اذهب لشأنك يا غراف فتيشا جاءت لتمكث معنا.

وكأنما لو انه فهم كل كلمة، رمق تيشا بنظرة قصيرة ثم استدار يتمشى بعيداً.

- هل هو البستاني هنا؟

سألتها تيشا وعيناها تشعان في نظرة مرتابة في صحة عقلها.

فهزت بلانش كتفيها والتمعت عيناها وهي تجيب:

- ليس لدي فناء واسع، لكني احتجت الى من يحافظ على مستوى نمو الاعشاب فاستحصلت على غراف، انه يظن نفسه ايضاً كلب حراسة.

فردت تيشا وهي تحدق الى العنز الذي كان عند السياج يقضم العشب قريرا:

- لقد اقنعني بطريقة ممتازة انه كذلك.. ماذا تدعينه؟ غراف؟ هذا اسم يناسبه تماماً.

- تذكرت وقتها حكاية سمعتها في صغري وتقول، وكان بيلي مستهلكاً جداً الى حد ما، فسميته العنز الفظ بيلي. . . انه يقوم مقام حيوان اليف بعيد فأحياناً يكون حنوناً جداً.

فرمقت تيشا عمتها بنظرة مرتابة وقالت:

- أرجو أن يمتد حنانه ليشملني أيضاً.

- انه فظ مع الأغراب فقط، وعذراً على هذا التعبير. . . لكن متى تعرف البيت جيدا سوف يدعك تروحين وتغدين كما يحلو لك. ان مجرد تجاهله لك الآن يدل على انه قد تقبلك، فعندما يكون لدي زوار، يرفض احياناً الابتعاد عنهم ويحدق اليهم من النوافذ ويترصدهم في الزوايا مما يخيفهم قليلاً.

- انه يطابق صورة الحيوان الأليف بالنسبة الى رسامة غريبة الأطوار، اليس كذلك؟

- أتظنين هذا؟ ربما هو يطابق هذه الصورة. والآن، هل تفرغ حمولة سيارتك وتنقل اغراضك الى البيت؟ لقد اعددت ترتيب الاستديو

وخصصت لك جزءاً منه كي تعملي فيه.

- ما كان يجب ان تفعلي هذا.

- تركت لنفسي مساحة كافية . . . كيف تقبل ريتشارد امر ذهابك؟.

- لم يكن سعيداً به لكنه بدا مقتنعاً بأنه الحل الأفضل.

ثم اختلج فمها بتعبير حزين وهي تردف:

- البيت سيبدو له الآن خاوياً جداً وموحشاً.

- لا تستسلمي للشفقة عليه فأنت ستتركين البيت عاجلاً او آجلاً. وهذه الخطوة ستجعله يعتاد على ذلك من الآن. ثم ان العيش الانفرادي ليس سيئاً الى هذا الحد، وأنا أعلم الناس بذلك.

فأعلنت تيشا قائلة:

- أنا لا أفكر في العودة اذ لو فعلت ذلك فلن تمضي ايام حتى اتشاجر وإياه حول شيء ما، لكن ارجو فقط الا ازعجك كثيراً بوجودي.

فابتسمت تيشا قائلة:

- أنا لا أفكر في العودة اذ لو فعلت ذلك فلن تمضي ايام حتى اتشاجر وإياه حول شيء ما، لكن ارجو فقط الا ازعجك كثيراً بوجودي.

فابتسمت لها بلانش مطمئنة وقالت وهي تفتح الباب:

- لن تزعجيني، ولو اني فكرت في هذا الاحتمال لما كنت دعوتك. . . كيف كانت رحلة القيادة الى هنا؟.

فجعدت تيشا انفها حين تذكرت بسخط ما حدث واجابت:

- لا تسأليني!.

- ماذا حدث؟ هل اخطأت في احد المنعطفات وتهت على طرق الجبل؟.

- ليتني فعلت ذلك! كانت هناك سيارة اجتاحتني جانبياً عند ذلك التقاطع في اسفل التل. . . كان الرجل الغبي ينعطف مسرعاً على جانبي من الطريق وكاد يصدمني من الأمام. . . كنت محظوظة فلم تصب سيارتي الا بعجة في الحاجز الأمامي.

فسألتها عمتها وهي ترقبها بلهفة:

- هل تأذيت؟ أخبريني؟.

ولما هزت تيشا رأسها، اردفت متنهدة:

- حمداً لله. . . انك لم تلقي بداية حسنة في يومك الأول هنا.

- في كل يوم مشمس لا بد ان يسقط بعض المطر.

طلعت تيشا بهذه الحكمة من عندها وقد صممت على عدم التفكير بلقائها الضارب مع روور لك ماديسون. لكنها لم تستطع التخلص من ذلك الشعور القاضم بأنه تفوق عليها في حوارهما اللاذع.

وقالت بلانش:

- خصصت لك غرفة النوم الجنوبية لظني بأنك سترتاحين اليها فنافذتها تطل على مشهد رائع وواسع للوادي والجبل.

وانشغلت تيشا حتى العصر في افراغ حقائبها كلياً وترتيب اغراضها بشكل مؤقت على الأقل. ثم سارت الى غرفة الاستقبال وغرقت متعبة في وسائد الاريكة ذات الأغطية العنبرية الناعمة. وفي تلك اللحظة تقريباً دخلت عمتها آتية من المطبخ وهي تحمل صينية عليها شراب وبسكويت. وسألتها:

- هل انتهيت؟ كنت على وشك ان اقترح عليك استراحة قصيرة، فما رأيك بشاي مثلج وبسكويت زبدة الفستق؟.

فهتفت تيشا وهي تتناول الكوب المثلج من على الصينية:

- رائع! لقد وضعت كل شيء في امكنة مختلفة مع اني متأكدة بأني سأغيرها في ما بعد.

- الانتقال يثير الفوضى دائماً.

وافقتها عمتها فيما رن جرس الباب.

رشفت تيشا شرابها وتوجهت بلانش الى الباب. وكان الشاي البارد شديد الانعاش وهو ينزلق في حلقها. . . فركت قفا عنقها ومطت كتفيها لتريح عضلاتها المجهدة من كثرة الانحناء ورفع الاشياء. . . لم تنتبه كثيراً لغمغمة الاصوات عند الباب الا حين سمعت عمتها تقول بصوت مرح:

- ادخل، أريدك ان تتعرف الى ابنة أخي.

فاستدارت تيشا وبها فضول للقاء الزائر، لكن ابتسامة الترحيب تجمدت على شفتيها حين شخصت الى الرجل الداخل مع عمتها. كان تعبير وجهه متماسكاً في برود اما هي فشعرت كأن الاريكة قد سحبت من تحتها. . . وشهقت بغضب منذهل:

- أنت!

- هل تعرفان بعضكما بعضاً؟

سألت بلانش بدهشة مرتبكة وهي تحدق اليهما بالتناوب، فأجاب رورك ماديسون مبتسماً:

- يمكنك القول اننا اصطدمنا ببعضنا من قبل.

فصححت له تيشا بسرعة:

- بل اصطدمت بي.

- أجل فعلت.

ثم استدار الى بلانش واردف موضحاً لها:

- أنا الذي بعج حاجزها الأمامي.

فردت تيشا وهي ترمقه بنظرة حانقة:

- لولا الحظ لكان قتلني.

- فهمت.

تمتمت عمتها بشفتين مطبقتين وكأنها تحاول اخفاء ابتسامة، واردفت:

- في حكم الظروف لا ادري اذا كان التعريف ضرورياً.

فقال رورك:

- لقد حزرت بأنها ابنة اخيك وقد اكتشفت بنفسي انها من ذوات الشعر الأحمر الاستفزازيات.

فقالت تيشا ساخرة:

- شعري احمر قاتم لمعلوماتك وانا لم اكتشف فقط بانك سائق متهور بل سائق مغرور ومتغطرس ايضاً!

فابتسم وقال بدون ان يتزعزع البتة من سخريتها:

- نعم، اعتقد انك اخبرتني ذلك قبلاً.

- رورك جاري أيضاً.

تدخلت بلانش بقولها وعيناها البارقتان توصلان الى تيشا رسالة خاصة لم تفهمها لوهلة اولى، فاردفت عمتها:

- أتذكرين؟ قلت اني أريد تعريفك اليه.

وتذكرت تيشا بسرعة ارتدت فيها قرفاً... اذن هذا هو الرجل الذي اقترحت عليها عمتها مازحة ان تقيم معه علاقة قصيرة... تدفق لون زاه

الى وجنتيها وعجزت لحظة عن اي جواب، بل الأسوأ من ذلك، احست نظرته تتفحص وجهها بتلذذ متسل. واخيرها رورك وهو يسير متمهلاً وجلس على المقعد قبالتها:

- اثناء وجودي في البلدة، رتبت لك موعداً لأخذ سيارتك غداً لاجراء التصليحات المطلوبة.

- اذن عليك ان تلغي الموعد فقد افهمتك اني سأقوم بترتيباتي الخاصة.

وهنا تدخلت بلانش بقولها:

- لا تكوني سخيفة يا تيشا، فمن الصعب جداً ان تجدي هنا شخصاً تأتمنيه على اصلاحها، واذا كان رورك قد استطاع تأمين موعد فمن الحكمة ان تحافظي عليه.

فقذفت الرجل بنظرة نارية وهي تتوقع منه دعماً حاراً لكلمات عمتها لكنه بقي صامتاً. كان من الأسهل جداً لو انه حاول اقناعها بالقبول كي ترخي العنان لثورتها... وضمغمت صاغرة وبلا لباقة:

- يبدو انه ليس لدي خيار.

ولدهشتها، لم يسارع الى استغلال خضوعها بغرور الذكر النموذجي، بل زودها باسم وعنوان الكاراج. وقالت بلانش وهي تعيد كوبها الى الصينية:

- اذا كنت ستذهب غداً الى البلدة فأظن اني سأذهب ايضاً، فمنذ اسابيع لم احصل على حمام ساخن وتدليك. من الافضل ان اخابر الآن لآخذ موعداً، ماذا عنك يا تيش؟ ان ينابيعنا المعدنية ممتازة والحمامات الساخنة تحرك الدورة الدموية بشكل مدهش. هل آخذ لك موعداً ايضاً؟

فهزت رأسها برفض مهذب وقالت:

- في وقت آخر.

فاقترحت عمتها وهي تتجه بخفة الى الاستديو حيث الهاتف:

- لماذا لا تأتين لرورك بكوب من الشاي المثلج ريثما اخابرهم؟

فلبت الطلب برغبة تامة كي تهرب من التمعن عينيه البنيتين ومن حضوره الذي كان يخترق الغرفة بواقع جسدي تقريباً. لكن وقع خطاه المتمهلة اخبرها انه تلا على عزيمتها، فأحسه، اكثر مما رأته، يقف على باب المطبخ

وبنيته الفارعة تملأ الاطار . . . كان المطبخ غريباً عليها تماماً، وفتحت ثلاث خزائن من دون ان تهتدي الى مكان الأكواب.

- سأجلب الكوب بنفسي.

تكلم رورك من ورائها وسار رأساً الى الخزانة الصحيحة.

- انك تعرف هذا البيت جيداً، اليس كذلك؟

سخرت منه تيشا واخذت تراقبه وهو يخرج بلا تردد ابريق الشاي من البراد ومكعبات الثلج من قسم التجليد.

فقال وبصره يتزحلق عليها بسخرية انما يبدو كأنه يلمسها:

اعرفه بدرجة جيدة.

فسألته وهي تتعمد تثليج صوتها باقصى درجة من الاحتقار:

- أتأتي هنا كثيراً؟

- ماذا تريدين ان تعرفي بالضبط؟ هل كنت وعمتك . . . . ؟

فاجأها بصراحته ولأن الفكرة لم تخطر لها ابداً، واردف يقول:

- ان بلانش امرأة جذابة ودافئة.

فهتفت والغضب المرتعب يعمق لون عينيها ويوسعهما:

- انها تكبرك بعشر سنوات على الأقل!

- بالنسبة الى رأيك في نوعيتي كرجل فلا يجب ان تستغربي الأمر.

- انه لا يدهشني بل يقرفني!

فقال ورأسه الأشقر ينحني بادرة متفهمة امام وقفتها المتصلبة:

- علمت من بلانش انك تربيت بطريقة صارمة جداً، وبالتالي يخيل الي ان وجهة نظرك متزمتة جداً بالنسبة الى العلاقة الذكرية الانثوية.

- لا يحق لها ان تتكلم واياك عني!

لكن نظرته المتسلية اليها جعلتها تشعر انها مراهقة بلا تجارب فاردفت تقول:

- انا لست جاهلة تماماً لما يختص بالعلاقات البشرية.

فاختلج جانب فمه بابتسامة مرتابة وسألها:

- وهل لديك معرفة اولية عن الموضوع؟.

- هذا من شؤوني الخاصة جداً. فالمرأة، بخلاف الرجل، لا تدور هنا وهناك تتبجح بتجاربها!.

فتألقت عيناه بوميض شيطاني حين اخذ يتفحص قوامها المتوثب بوقاحة وتمهل، ثم غمغم وعيناه تعودان الى وجهها المتورد بشدة:

- هذا غريب، فأنت تبدين كامرأة خبرت الحياة، ربما يتوجب علي ان اعيد تقييم رأيي فيك.

فقالت بعنف:

- لا تزعج نفسك!

- لن انزعج. كنت دائماً احب التحديات.

- صحيح؟ ما رأيك اذن بهذا التحدي، اني احتقرك!

- هـذا جيد كبداية، اما لو قلت انك تكرهينني لكان التحدي اكثر تشويقاً.

- اكرهك ايضاً، ويمكنك ان تحتفظ باهتمامك لامرأة تقدره، كبلانش مثلاً.

فقال هازاً كتفيه بقناعة تامة:

- انا وبلانش صديقان ليس الا.

فتمتمت تيشا ساخرة:

- احقاً؟ لم تعطني هذا الانطباع قبل لحظة خلت.

- لقد اخبرتك فقط ما كنت تريدين سماعه.

كان ينظر اليها بطريقة جعلت ضغطها الدموي يرتفع، فتجاهلت عمداً رنة الصدق في صوته اذ كانت تفيض بغضب خائب من الطريقة التي تعمد صدمتها بها . . . فقالت وهي تجر الكلمات من بين اسنانها المطبقة:

- فهمت . . . ومن خلال صداقتكما . . .

توقفت حتى يستوعب التشديد الساخر على كلمتها الأخيرة، واردفت:

- اكتسبت معرفتك الحميمة بداخلية بيتها.

فقال وهو يبتسم الآن ابتسامة صادقة:

- الحقيقة هي اكثر معقولية من ذلك بكثير. فأنا صممت هذا البيت.

فأحست تيشا كأنها قد علقت على رمح فولاذي بارد، وسألته:

- ماذا تعني؟

- انا مهندس معماري ولم ارسم التخطيط فحسب بل واشرفت على بناء البيت.

- فردت مضطربة:
- لم اعلم ذلك.
- لم تسألي انا افترضت اشياء . . . اظن انك فضلت الاعتقاد بأسوأ سبب ممكن لمغرفتي بالبيت لأن ذلك كان الاكثر انسجاماً مع رأيك فيّ.
فاتهمته تيشا قائلة وقد عاد غضبها يتدفق الى الواجهة:
- لم تقصد الا ان تجعلني اضحوكة في نظرك.
- هناك تعبير مستهلك يناسب الظرف، ويناسبك بصورة خاصة، انت جميلة جداً في حالات الغضب، واحسب اني لم استطع مقاومة اشعال الثقاب الذي يلهب فيك نار الغضب.
ظهرت بلانش في مدخل المطبخ قبل ان تتمكن تيشا الفائرة من التفكير في جواب بائر مناسب . . . وسألت وهي تنقل بصرها بين الشماتة اللامبالية على وجه رورك ماديسون وبين تيشا المكتوية بالغضب:
- عما تتحدثان؟ هل هي حرب خاصة ام يمكنني الاشتراك فيها؟
فأجابها رورك:
- كنا نتحدث عن كل القلوب المحطمة التي خلفتها الآنسة كالدويل وراءها.
تصريحه الهادئ جعل تيشا تعبس في حيرة، فهيا ما تحدثنا اطلاقاً عن النواحي الرومانسية في حياتها . . . فوجدت نفسها تقول وقد حيرها مجرد تلميحه الى شيء كهذا:
- لم اترك اية قلوب محطمة.
فذكرتها بلانش قائلة:
- لا اظن ان كيفن كان بالغ الفرح لرحيلك.
- كيف استطعت ان تتخلصي من خطيبك؟
سألها رورك والبريق الساخر في عينيه الداكنتين يضحك من نظرتها المذهلة حين جعلها تعلم الى اي مدى كان هو وعمتها يتحدثان عنها.
فاجابته تيشا بفظاظة:
- شرحت له ببساطة اني لست من النوع الذي يحبذ الزواج، وحتى لو كنت كذلك فلن اختاره هو.

لكن الحقيقة انها اكثرت من الاعتذار الى كيفن عندما رأته اخر مرة، فعلى الرغم من تصريحاتها القاسية امام ابيها، حاولت جهدها ان تكون حازمة ولطيفة مع كيفن.
فقالت عمتها بضحكتها المعهودة:
- لم تكوني لبقة كما يجب لكنه فهم قصدك على ما أظن.
وقال رورك متجاهلاً ذكرها لكيفن ومتابعاً تصريحها الأول:
- اذن قررت ان الزواج لا يناسبك؟
فغمغمت بعلوية متناهية:
- يخيل الي ان وجهة النظر هذه هي القاسم المشترك الوحيد بيني وبينك، ام تراني مخطئة في الافتراض بانك عازب خالد؟
فطمأنها والضحك يكمن في صوته:
- نعم أنا رجل عازب، لكني لا استطيع الاعتراف تماماً باني سأبقى عازباً.
توهجت عينا بلانش وهي تنظر من احدهما الى الآخر، وقالت:
- هذا الحديث سيكون ممتعاً على ما يبدو . . . لنعد الى غرفة الاستقبال حيث استطيع الاسترخاء والاستمتاع بالالعاب النارية.
فاستدارت تيشا على عقبيها لتخرج من المطبخ ومنه الى غرفتها وهي لا ترغب في متابعة الحديث مع رورك ماديسون المتغطرس كالطاووس، الا انها لم تحسب حساباً لخطواته الواسعة التي ادركتها قبل ان تصل باب المطبخ، ولا لليد التي اعتقلت ذراعها . . . احست لمسته تحز جلدها، وعزت ذلك الى العدائية التي يثيرها فيها.
وهمس في اذنها بصوت حريري مغمغم:
- هل انت تنسحبين قبل بداية المعركة؟
فقذفته بنظرة مزدرية ثم نفضت يده بعيداً وسارت بعزم الى غرفة الاستقبال . . . اذن حسبها قد استسلمت بلا قتال، اليس كذلك؟
كانت على وجهها نظرة اعتذار مصطنع حين واجهت تقاسيم وجهه المتحجرة، وقالت:
- كنت غبية حين وصفتك بالعازب الخالد، اذ لا يوجد في الحياة شيء كهذا.
فاستقر على مقعده السابق وسألها وعيناه تبرقان حتى العمق:

- وكيف توصلت الى هذا الاستنتاج؟

- لان ما من رجل لديه مناعة ضد سلطة المرأة اذا اختارت ان تستخدمها. ان الكتب مليئة بقصص رجال ونساء امثال شمشون ودليلة، داوود وبلقيس، استير والملك احشورش . . . ان المرأة تخضع الرجل دائماً.

تلاعبت ابتسامة شامتة على جانبي فمها وسألته وهي تحدق الى عينيه الساخرتين من كلماتها حتى العمق:

- الا توافقني يا سيد ماديسون؟.

رفض الوقوع في مطب اي اعتراف فاجاب وعيناه تضيقان قليلاً:

- اكملي، أرجوك. ان وجهة نظرك منورة للغاية.

- ما اقوله واضح بالطبع. فحين يعرض رجل الزواج فهو الذي يركع على ركبته وليس العكس.

كان صوتها كخرخرة قطة قريرة تلعب بفأر، ولاحظت النظرة المختلسة التي وجهتها بلانش الى زورك قبل ان تخفي ابتسامتها وراء كوب الشاي المثلج.

وأجابها زورك:

- ذلك الركوع هو بادرة احترام، لكننا معشر الرجال، لا نحني رؤوسنا أبداً.

- اننا ندعكم تحتفظون بشيء من الكرامة. ولو كان كل مبتغانا الحصول على خضوع كامل، لاشترينا حيواناً اليفاً.

- هذا كرم منك . . . يدهشني كيف استطعت اقناع نفسك بأنك تؤدين للرجل خدمة بزواجك منه، فيما الارباح في الواقع هي من حصة الرجل.

فسألته بصوت يقطر سخرية باردة:

- وكيف تعلل ذلك؟.

- مقابل ثمن الطعام والكساء والسكن وبعض المصروف، يحصل الرجل على مدبرة منزل، غسالة ثياب، طباخة، خياطة، جلاية صحون، ام لاولاده، جليسة اطفال، ممرضة، قاضية حاجات منزلية وشريكة فراش، وايضاً تصبح الزوجة مخفضة ضرائب . . . هناك فوائد كثيرة من الزواج.

- يا الله . .

بلعت تيشا وقد عجزت عن صياغة هزيمتها بكلمات، فقال زورك

مبتسماً بطراوة:

- انا أؤمن بالنظر الى الاشياء من زاوية منطقية واقعية . . . لا يمكنك الانكار بأن هذه حقائق.

- انت لا تطاق!.

هتفت ثائرة ونهضت ترمقه بغضب لاهب.

فهز كتفيه وعلق ضاحكاً:

- انت التي بدأت هذا البحث . . . ان كنت لا تحبين الحرارة فابتعدي عن النيران.

- بكل سرور!.

أعلنت تيشا وغادرت الغرفة حانقة.

٣ـ هل تخافين مني؟

سألت تيشا بحدة وهي تزيح بصرها عن الطريق لتنظر الى بلانش بسرعة:

ـ ماذا تعرفين عن هذا الرجل رورك ماديسون؟ يخيل اليّ انه يظن نفسه قاتل نساء.

ـ اذن انت مهتمة بجاري.. كنت بدأت اتساءل عن ذلك بعد الطريقة التي خرجت بها من الغرفة أمس وبعد ان رفضت ذكر اسمه في أي حديث.

ـ لست مهتمة به من الناحية التي تقصدين لكن الذكاء يقضي بأن يعرف المرء كل ما يستطيع معرفته عن عدوه المحتمل.

فقالت عمتها موضحة:

ـ لقد كونت انطباعا خاطئا عن رورك من كل النواحي، فهو ليس ذلك الفاسق المسيطر الذي تصورينه، وعذرا عن هذا التعبير العتيق. انه ألطف وأرق جار عرفته في حياتي كما انه مهندس موهوب جدا. وثقي ان هناك نساء كثيرات يتلهفن الى رفقته لما يتمتع به من وسامة وثراء نسبي، لكني ما سألته ابدا عن حياته الخاصة ولا هو سألني عن خصوصياتي.

فاستفسرت تيشا غاضبة:

ـ وكيف تفسرين تصريحه المقرف بخصوص الزوجات؟

ـ انت التي حثته على قول ذلك كما تعلمين، وأظن انه تقبل تعرائك المفترية على الجنس الآخر بروح طيبة... كان هنالك مقدار معين من الحقيقة في كل من ملاحظاتكما.

ـ انه لا يختلف عن سائر الرجال. يريد ابقاء المرأة في البيت وفي المطبخ.

قالت هذا وتنهدت بقرف وهي تنعطف بالسيارة الى الطريق العام. فوبختها بلانش بلطف:

ـ لا تحطي من دور المرأة كزوجة وأم، فليس في الحياة ما هو اكثر تحديا واسعادا من هذا الدور الذي تقنع به اعداد كبيرة من النساء ولا يرضين عنه بديلا.

فأعلنت تيشا وصوتها يحتد في دهشة:

ـ لا اقدر ان اصدق بأنك انت، من بين كل النساء، تقولين كلاما كهذا!

فسألتها عمتها بنصف ضحكة:

ـ ماذا تقصدين، من بين كل النساء؟

ـ اعني انك لم تتزوجي ومع ذلك نجحت في مهنتك بعصاميتك وحدها. انك مثال لأي امرأة متحررة.

فسألتها بلانش فجأة:

ـ اتعلمين لماذا لم أتزوج يا تيش؟

فهزت الفتاة كتفيها وردت:

ـ ربما لانك ما شعرت بحاجة الى الزواج او برغبة فيه.

فواجهت بلانش نظرة تيشا الفضولية وقالت:

ـ لقد فكرت جديا في الزواج في مناسبتين لكني كنت ذكية كفاية لادرك بأني انسانة انانية في اعماقي... لم أشأ ان احمل المسؤولية الحقيقية للزوج وتربية الاولاد. وبشكل ما، لم اكن انانية فحسب بل جبانة أيضا... أنا ما ندمت على عزوبتي، ولو اعطيت الفرصة فلن اتنازل عنها. ولكن قرار الزواج هو وجهة نظر فردية يا تيشا وليس له علاقة بكون الشخص رجلا أو امرأة.

فردت تيشا بصوت هادىء جدي ويخلو تماما من التهكم والحدة السابقين:

ـ أتقصدين القول انك الشواذ الذي يثبت القاعدة؟

ـ بل اقول ان قلة من الناس تقدر ان توقف حياتها على مهنتها.

ـ الا استطيع انا ذلك؟

فزحف ضوء متوهج الى عيني بلانش وسألت تيشا بنعومة:

ـ هل تعيشين لترسمي؟ هل الفن هدفك الاخير؟

هدفها الأخير؟ انها ليست متأكدة من هوية هدفها الاخير، كما تدرك ايضا انها لا تملك موهبة عمتها الفريدة، وبدون هذه الموهبة لن تحصل على الاكتفاء الكامل الذي تنعم به بلانش، ولذا اجابت على سؤال عمتها بتردد انما بصدق:

- الرسم هواية بالنسبة الي وأحاول من خلاله ان اكسب عيشي.
- وهي هواية تنسجم تماما مع الحياة الزوجية.

فقالت تيشا تتهمها وتلطف كلماتها بابتسامة:

- الآن انت تتحدثين كأبي اذ تحاولين اقناعي بالزواج من اجل مصلحتي.
- زواجك فقط من رجل تحبينه.
- اذا كان هناك مخلوق كهذا!

وضحكت لتعزز تساؤلها وأردفت:

- سيكون الامر رهيبا اذا كان جميع من سألتقيهم على شاكلة رورك ماديسون.
- لو كنت مكانك لما استبعدت رورك كزوج صالح... أنا متأكدة من ان اخفاقك في الوقوع عند قدميه قد اثار اهتمامه، وانت من جهتك تهتمين به ايضا.

فجعدت الفتاة انفها بعدم استحسان وقالت:

- انه يثير فيَّ أسوأ المشاعر.
- ربما هي عملية دفاع داخلية لتحمي نفسك من الانجذاب اليه.

فأجابت وشموخ أنفها المتحدي يبرز عنقها الطويل كعنق البجعة:

- لا اريد رجلا يفكر بأن يكون السيد والولي على حياتي!
- وايضا لن تكوني سعيدة مع رجل ضعيف تسيطرين عليه... لن يصعب عليك احتمال بعض السيادة ما دامت اليد الحديدية مغلفة بقفاز مخملي.

فهزت رأسها باستسلام:

- بلانش، انت خبيثة كما أبي. هل تحاولين فعلا ان تزوجيني منه؟
- انه جاري ولا أريدك ان تعلني عليه الحرب. سيكون الاكثر مدعاة للسلام ان تتصادقا.

فتنازلت تيشا بقولها:

- سأوافق على تسوية، فأعدك بألا استفزه لمعركة.

فنظرت بلانش الى مجموعة من البنايات وقالت باسمة:

- هذه بداية على الاقل... الآن انزليني عند هذه الزاوية فمركز الحمامات بات قريبا من هنا.

بعد ان ترجلت عمتها عند الزاوية تابعت تيشا طريقها عبر المنطقة التجارية والى كاراج التصليحات ولما عبرت الممر، كانت أول سيارة رأتها السيارة البيضاء السبور التي تخص رورك ماديسون، فاطبقت شفتيها في خط متقلص وهي توقف سيارتها ثم سارت الى المكتب.

كان رورك يستند الى جدار جانبي فاستقام حالما رآها وغمغم:

- في الوقت المحدد تماما.

فسألته وقد نسيت كليا وعدها السابق لعمتها بأن لا تغيظه:

- ماذا تفعل هنا؟

فأنبها قائلا وفي عينيه تلك اللمحة من الضحك:

- الضرر لم يصب سيارتك فقط، ومن جملة اضراري انكسار الضوء الامامي. لقد انتهوا الآن من اصلاح سيارتي.
- فهمت.

قالت بتجهم وهي تلوم نفسها على ظنها بأنه ما جاء الكاراج إلا ليراها... وهنا دخل رجل يرتدي مريولا ملطخا بالشحم فحولت اهتمامها اليه، ورحب به رورك قائلا:

- مرحبا ماك، هذه هي الآنسة كالدويل.

رمقها الرجل باعجاب ثم نظر الى رورك وقال بعينين ملتمعتين:

- الآن فهمت لماذا اصطدمت بها... لديك طرق غريبة في التعرف الى فتيات جديدات.

فتوردت وجنتاها بدفقة غضب لكنها كبحتها بسرعة وقالت للرجل:

- هاك مفاتيح سيارتي. انها الموستانغ الزرقاء.
- ستكون جاهزة بعد ساعتين.

أجابها الرجل المدعو ماك وهو يتناول منها المفاتيح. وقد اخطأ تفسير التوهج الذي غزا عينيها الخضراوين حين نظرت الى رورك. ولما استدار ليخرج سمعته يغمغم لرورك:

- انت بارع حتما في اختيارهن. انها افضل من سابقتها واصغر سنا.

وحالما خرج الرجل قالت لرورك بصوت كالفحيح:

- هل دائما تنشر اخبار غزواتك في كل الاوساط؟

- وهل تصنفين نفسك كواحدة من غزواتي؟

ورفع رأسه بسخرية في اتجاهها فتماوجت على جبينه خصلة شعر قد بيضتها الشمس... وأجابته متحدية:

- يسرني القول اني لم احصل على قلة الشرف هذا؟

فبدت على وجهه ابتسامة ملاطفة وقال:

- هل كنت تفضلين ان اخبر الرجل بأننا لا نطيق بعضنا؟ ما كان ليصدقني ... وسواء ظن هذا ام ذاك، فأي فارق سيحصل؟

فأقرت تيشا لنفسها بمنطقية كلامه، واجابته:

- لم تعجبني الطريقة التي أوحى بها بأشياء معينة.

ولاحظت بروز الغمازة في ذقنه كلما حاول اخفاء ابتسامة ما... وأجابها متهكما:

- تزعمين بانك امرأة متحررة الا ان مبادئك الخلقية تمت الى عصر قديم.

فقالت بحلاوة سكرية مصطنعة:

- على الاقل، لا يمكن اتهامي بتعدد العلاقات فأنا لست مثلك، أقفز الى السرير مع كل رجل ألتقيه.

فغمغم متكاسلا:

- ولا انا افعل ذلك.

فرفعت حاجبيها الدقيقين بارتياب وسألت:

- الا تفعل؟

كان في عينيه نوع من الاغراء وهما يتجولان على محياها فخفق قلبها لتلك الاغراء الشبه بضغطة خفيفة، وتشدق رورك بنعومة وباثارة مقصودة:

- لم اشاركك شيئا... بعد.

- أوه!

لبطت الارض بغضب ثم استدارت خارجة من الباب.

لكن تلك الخطوات الرشيقة الملونة لحقت بها في لحظات، وسألها ضاحكا ويده تقبض على ذراعها وتوقفها:

- الى اين تذهبين؟

- الى اي مكان بعيد عنك!

اجابت وقد القت رأسها الى خلف لتنظر بكره ساخط الى وجهه الوسيم بخشونة.

فقال وقوة سحره الذكرية المتوثبة تتركز مباشرة عليها:

- آسف، كنت اتمنى عودة القتال مرة اخرى.

كانت انفاسها تروح وتجيء بلا اتزان، وقالت وهي تحاول جذب ذراعها برشاقة من قبضته:

- اعتذارك مرفوض، والآن، اترك ذراعي!

فقال ملاطفا ومتجاهلا محاولاتها للانفلات:

- اعدك بأن لا احتال عليك بالكلام بعد الآن.

- انك تزعجني حتى بتنفسك!

- حسنا، لن اموت في سبيل اثبات اسفي.

ثم ابتسم واردف:

- اذن لنعقد هدنة ما دمنا على أرض محايدة.

- حقا؟ لم اكن اعلم ان أي أرض تحت قدميك يمكن ان تعتبر حيادية!

وقذفته بنظرة ملتهبة قبل ان تشيح بوجهها عنه وتنقر بحذائها ايقاعا حربيا على الرصيف... وسألها:

- كيف كنت تنوين قضاء الوقت في انتظار السيارة؟

فاعلنت تيشا وهي ترفض الاستسلام للهجة الاقناعية في صوته:

- لا انوي حتما ان اقضيه معك! سأشغل نفسي ببعض الرسم. والآن، هل لك ان تفلت ذراعي؟

- صحيح، انت رسامة مثل عمتك، أليس كذلك؟

- انا بالكاد مثل بلانش. هي فنانة اصيلة وأنا أرسم كهواية.

- كنت أحسب نفسي في حضرة عبقرية برعمة! ان مزاجك مزاج فنانة.

- لا يمكنك اتهام عمتي بالمزاجية الفنية، انك لن تلتقي انسانة هادئة الطباع مثلها، ولذا لا تلصق بي هذا الطابع.

- لا بد ان بلانش كانت استقلالية النزعة مثلك والا لما استطاعت ان تنجح بمفردها، كذلك هي مثلك، امرأة دافئة وحساسة، وهذا الجانب من

شخصيتها تظهره لعائلتها من دون شك.

- هذا هو المفروض.

وتذكرت متأخرة وعدها بالا تجادل هذا الرجل، لكنها حاولت ان تواسي نفسها بأنه هو الذي تعمد استفزازها، الا ان هذا لم يكن صحيحا تماما.

وقال رورك:

- لنعد الى سؤالي الاساسي، اين فكرت ان ترسمي؟

- كنت سأذهب الى البلدة بالتاكسي أو بالباص.

- احضري اوراق الرسم وأي شيء آخر تحتاجينه وسوف أوصلك بسيارتي.

فاحست بوخز من الطريقة التي توقع بها لكي تطيعه، وقالت:

- اذا قبلت عرضك، فهل تتركني بعد ذلك وشأني؟

فأفلت ذراعها وقال وعيناه البنيتان تلتمعان:

- سأفكر في ذلك.

- في هذه الحال التي أتمناها كثيرا سأوافق على ان توصلني الى هناك.

فناداها بصوت ساخر بعدما بدأت تسير في اتجاه سيارتها:

- على مهلك، والا بدوت متلهفة جدا الى رفقتي.

فردت له الكيل بضحكة مريرة:

- انت تحلم!

بعد دقائق كانت تيشا داخل سيارته تلتصق بالباب لتظل بعيدة عنه قدر الامكان، لكن رورك بدا غافلا عن ذلك حين انضم الى حركة السير الخفيفة على الطريق. وسألها:

- هل تعرفين الكثير عن هوت سبرينغز؟

- كنت هنا من قبل.

- وهذا لا يعني شيئا... لقد قضيت كل حياتك في ليتل روك، أليس كذلك؟

- نعم.

أجابته وهي تكز بأسنانها على الحرف الاخير.

- وكمعظم الناس لم تهتمي ابدا باستكشاف المنطقة الواقعة خلف منطقتكم

مباشرة... هل أنا على صواب؟

ورمقها بنظرة عاتبة، فاجابته بنزق:

- ان كنت تقصد السؤال، هل كنا نأتي أنا وأبي هنا في خلال الاجازات، فالجواب لا... كنا نذهب عادة اما غربا أو جنوبا.

- اذن لا تعرفين في الواقع الا القليل عن هوت سبرينغز؟

فعلقت بسخرية:

- اعلم ان فيها ينابيع ساخنة.

تطلعت بسرعة من النافذة فرأت حديقة آرلنغتون الذي يبدأ عندها مركز الحمامات والمسمى باث هاوس رو.

- يمكنك ان تنزلي هنا.

وبدل ان يتوقف على الزاوية، تمكن من ادخال سيارته في المساحة المخصصة للوقوف، وقبل ان تستطيع تيشا ان تجمع اغراضها وتهرب، كان قد غادر السيارة ووضع دراهم في العداد وعاد يقف الى جانبها. فقالت:

- شكرا على التوصيلة يا سيد ماديسون.

كانت تعلم حتى وهي تقول هذا انها لن تستطيع التخلص منه بهذه السهولة.

- سأكون مقصرا في واجباتي كمواطن مقيم اذا لم أرو لك شيئا عن تاريخ هذه المدينة الشهير.

- انك سترفض جواب، لا، أليس كذلك؟

- لا اعتقد انك سوف تحرمينني كثيرا ان قبلت.

وللحظة، فوجئت تيشا بجوابه وانتابها شعور غريب بصحة كلامه... لقد قالت لها بلانش انها لن تحترم رجلا ضعيفا. ومع ذلك، رفضت بتناقض ظاهري ان تكون محكومة، وهذه الخاطرة الأخيرة ايقظتها من صحوتها وجعلتها تقول ببرود:

- لا احب ان تحشر الاشياء في حلقي لمجرد ان شخصا آخر يظنها مفيدة لي.

- وهل يقدر احد على ذلك؟

ظهر الضوء الأخضر الخاص بالمشاة، فقادها بلا اكتراث عبر الطريق وتابع يقول:

- بالطبع، ان الجانب التعويضي للاكراه، هو انه يشكل احيانا الطريقة

الوحيدة التي تجعلنا نتأكد من حبنا لشيء ما.

فراحت تيشا تتأمل القوة الكامنة في خط حنكه، وعظمتي وجنتيه المنحوتتين وأنفه، الغمازة الخفيفة في ذقنه البارز. وتوقفت لحظة عند خط فمه ثم رفعت بصرها الى عينيه... فقال:

- مازلت عاجزة عن السماح لنفسك بالموافقة على أرائي، اليس كذلك؟

قال بلطف لكنه لم ينتظر جوابا ومضى يشرح تاريخ المنطقة بقوله:

- كان الهنود الحمر يسمون هذا المكان بوادي الابخرة. وهذه الارض كانت قيّمة لدى جميع القبائل وحيث كانوا يقصدونها في سلام ليغسلوا مرضاهم وجرحاهم بمياه الينابيع. لقد ذكرت سابقا اننا على ارض محايدة وانا مستعد لاعلان هدنة مؤقتة اذا وافقت.

كان طلبا لتسوية لم تكن كذلك في الواقع، لكن تيشا ابتسمت بمرح وغمغمت قائلة:

- يا له من خيار! اذا لم أوافق على ان تقوم بمهمة الدليل فستفعل ذلك في أي حال.

- انه يشبه خيار هوبسون الى حد ما، اما هذا الحصان أو لا حصان على الاطلاق، أليس كذلك؟

ضحك زورك راضيا، ولاول مرة منذ التقيا اجابته بابتسامة صادقة طروب امتدت الى عينيها وقالت وهي تتنهد:

- اذن، ناولني غليون السلام. (تقليد للهنود الحمر)

- بما اني لا املك واحدا، فهل تستعيض عنه بالمصافحة؟

وضغطت يده الكبيرة والقوية على يدها فأحست دفقا من الدفء يسري في دمها ورافقها هذا الاحساس حتى بعد ان افلت يدها. ثم انتشرت على وجهه ابتسامة بطيئة آسرة كاد وهجها يعميها حين استدارت اليه مستجيبة لضغط يده على ظهرها... وأعلن زورك بصوت منخفض موسيقي احسته يتماوج حولها:

- سنتمشى أولا على طريق المتنزه لننتقل الى جو التاريخ القديم بطريقة افضل.

كان قد قصر خطواته الواسعة الرياضية ليجاري خطاها وهما يعبران الطريق المعبدة في اتجاه الجبل المشجر والمرتفع في قلب المدينة.

- يجب ان تروي لي كل شيء عن هوت سبرينغز.

أمرته تيشا بتهكم لعوب، فشرع يقول بطاعة ساخرة:

- لما عرف جميع الهنود بأمر الينابيع صارت قصصهم حول قدراتها العلاجية تنتقل من قبيلة الى قبيلة، ويعتقد ان هذه الحكايا هي التي حدت بالمكتشف الاسباني يونس دي ليون الى ان يأتي باحثا عن ينبوع الشباب، لكنه لسوء الحظ لم يتوغل في اسفاره في داخل البلاد ليجده، ولذا فالرجل الاوروبي الاول الذي شاهد وادي الابخرة كان الاسباني ايرناندو ديسوتو الباحث عن الذهب، وقد دله اليه بعض الهنود الودودين.

وهنا سدت طريقهما صخرة كبيرة فتوقفا وقال زورك:

- اللوحة المعدنية على هذه الصخرة الناتئة تسجل تاريخ وصول ديسوتو الى هنا في العام ١٥٤١.

ثم قادها حول الصخرة الى الدرجات المؤدية صعودا الى جانب التل وحيث يوجد طريق قرميدي فسيح مظلل الاشجار ومنثور عليه مقاعد وطاولات.

وتابع زورك يقول:

- لكن في العام ١٦٨٢ جاء المكتشف الفرنسي لاسال الى هنا وطالب بضم المنطقة الى فرنسا. واذا كنت تذكرين تاريخك الاميركي، فالمنطقة كانت معطاة الى اسبانيا ثم اعيدت مجددا الى فرنسا طبقا لمعاهدة مدريد السرية ثم باعها نابليون الى الولايات المتحدة الاميركية كجزء من صفقة لويزيانا. اما الرئيس جفرسون الذي مهد للصفقة، فقد أرسل في العام التالي الى هنا اثنين من العلماء ليعرفا اكثر عن هذه المياه الساخنة التي تتدفق من الجبل.

- قلت ان المكان كان يسمى بوادي الابخرة فلماذا لا يوجد الآن اي بخار؟

- ذلك لان ينبوعين فقط من مجموع أربعة وسبعين ينبوعا تركا مفتوحين لاغراض سياحية. اما الباقي فقد تم تحويله الى مخزن مائي أرضي وحيث يتوزع عبر انابيب الى بيوت الحمامات المختلفة. ان مدينة هوت سبرينغز قائمة في وسط حديقة وطنية، وقد اقر مجلس الشيوخ في العام ١٨٣٢ ان تعزل المنطقة بكاملها ولكن هذا القرار عدل في ما بعد بحيث سمح بأن تنمو المدينة حولها.

قادها وهو يمسك بمرفقها على درج منحدر وقال:

- ينابيع العرض تبدو لحنا.

وعلى هذه الناحية من الجبل، كانت بركتان صافيتان من المياه البخارية وسط صخور تشبه كثيرا الصخرة الكبيرة التي رأتها تيشا في بداية مشوارهما. كان مشهدا حراجياً مفعما بالسكينة والسلام، وصورة مصغرة عن الغابة الواقعة خلف صف الحمامات التجارية. غطست اصابعها ثم سحبتها بسرعة من مياه البركة الساخنة، فقال رورك باسما:

- معدل حرارة المياه ٢٥ درجة مئوية من مصبها في الجبل.

- وما الذي يجعلها ساخنة الى هذا الحد؟

- هناك عدة نظريات حول ذلك انما لم تثبت اي منها. ان كل المياه الحرارية الآتية من الينابيع الساخنة، فيها عنصر اشعاعي طبيعي ويعتقد انه المسبب للسخونة.

- شيء ساحر أليس كذلك؟

- يسرني انك لست عنيدة الى حد عدم الاقرار بهذه الحقيقة.

علق رورك ناظرا في أعماق بحر عينيها، فلاح على وجهها ظل كدر وسألته بسرعة محاولة تغيير الموضوع:

- هل لديك مزيد من المعلومات؟

- تاريخ هوت سبرينغز يملأ كتابا وانا اعطيتك رؤوس اقلام فقط... هنا كان المقر المؤقت للحكومة الرسمية في اثناء الحرب الاهلية وكانت المدينة تشكل نقطة النهاية لسكة حديد داياموند جو الأسطورية، (احد رجال المافيا)، ولن الحدث عن الجزء الذي يقول ان هذا الوادي كان المنتجع المفضل لرجل المافيا الخطير آل كابوني.

ثم مد لها يده وقال:

- تعالي، سنتمشى قليلا.

لم تفكر تيشا مرتين في تقبل يده ولا في تركها هناك حين عادا يصعدان الدرج ويسيران على الطريق الجبلي الهادىء. كان هناك سنجاب يقفز على الحاجز القرميدي قربها، ويتوقف بين الحين والحين الى ان جلس القرفصاء وأخذ يلغو امامهما، فقال رورك ضاحكا:

- احسبه يتسول بعض الطعام. الحيوانات الصغيرة هنا أليفة تماما.

- في المرة المقبلة سأتذكر ان آتيه بشيء يأكله.

تبعهما السنجاب لبضع ياردات اخرى ثم قرر اخيرا انهما لن يتصدقا عليه بشيء، فركض عائدا على الطريق التي جاء منها. تابعا سيرهما ومرا برجلين كهلين يجلسان الى طاولة من الاسمنت وكانا مستغرقين في لعبة الداما. وسألها رورك مشيرا الى مقعد مستطيل في جانب الطريق وقريب من الجبل:

- هل تودين الجلوس قليلا؟

فسارت معه تيشا وجلست على المقعد بتقبل صامت وهي تضع حقيبتها ودفتر الرسم على الطاولة أمام المقعد. احست بقناعة متناهية، فحركة السير على الشارع خلفهما وتحتهما كانت تخفض ضجيجها اوراق الاشجار الخضبة التي كانت في بداية تحولها من لباسها الصيفي الى ردائها الخريفي... تأملتها تيشا بلا مبالاة كسولة فيما اقتطف رورك من خلفهما زهرة صفراء وطفق يبرمها باصابعه، ثم أدار بصره الداكن الى وجه تيشا ليتأمله بشمول صامت وقال بعد ذلك مفكراً:

- اني لاتساءل اذا كنت تودين الرجال؟

فقطبت حاجبيها قليلا وهي تحاول متابعة افكاره، فابتسم بجانب فمه حين لحظ ارتباكها.

- اظن من الافضل ان نكتشف ذلك.

فضم رورك ومد احدى يديه ليرفع ذقنها فيما قرب الزهرة بيده الثانية الى ما تحت ذقنها، فعكس بياض عنقها الصافي لون الزهرة العنبري المتألق، فقال:

- عظيم، لقد اظهر رد الفعل تجاوبا فائقا!

ضحكت عيناها بتألق وبلا خجل حين التقت نظرتاهما وتذكرت تيشا هذه اللعبة التي كانت تمارسها وهي طفلة.

- وماذا عنك انت؟

مازحته بسهولة وهي تغطي يده بيدها لتحركها باتجاه ذقنه، فسمح لها بهذه الحركة ثم قلص ذراعه قبل ان تصل الزهرة الى ما تحت ذقنه، وقال باسماً:

- هذه اللعبة لا تعطي نتيجة مع رجال فوق سن الثلاثين وحيث شعر الذقن يظل مفعوفا.

فأحست تيشا فجأة بالتصاق وجهيهما تقريبا وبالطريقة المربكة التي كان يركز بها بصره على وجهها. شعرت بنوبة اختناق فصدتها عنها بسحب يدها من دفء كفه، وأعلنت بشموخ بعد ان ابتعدت عنه بمسافة آمنة:

- لا بأس، فانا اصبحت على علم بانجذابك الى النساء.
- وكيف تعلمين ذلك؟

فهزت كتفيها وكأنها تقول ان معلوماتها سرية ولكنها رفضت اعطاءه جوابا لفظيا. وبدلا من ذلك رفعت قدميها على المقعد ولفت ذراعيها حول ركبتيها لتتأمل المناظر الاقل ارباكا. ثم علقت قائلة:

- المكان هادىء جدا. اليس كذلك؟
- انت ترغمين نفسك حتى على التظاهر بانك تستمتعين برفقتي.
- أقدر ان ارغم نفسي على مجاملة اي شخص اذا كان الجو حولي يلهيني بما فيه الكفاية.

كانت قد احست اكثر من اللازم بقربه . . . ولذا عادت الى كلماتها اللاسعة لتحمي نفسها من لحظات ضعف قد تلم بها مرة اخرى.

فسألها وقد لاحت على جبينه عبسة حائرة متسلية:

- لماذا التجأت الى لسانك اللاسع كالدبور؟ هل تخافين من ان تصبحي ناضجة؟

سؤاله جعل عينيها تتسعان لكنها أجابته وهي تحاول الشموخ برأسها:

- يا للهراء! انا الآن ناضجة!

فقال متحديا اياها بعينيه الداكنتين:

- اثبتي ذلك... تناولي معي العشاء مساء الجمعة.

فاجفلت قليلا وسألت:

- لماذا؟
- احزري...
- اظن انك اصبت في كبريائك المغرورة لأنك ما استطعت ان تجعلني ارتمي بين ذراعيك بالسرعة واللهفة اللتين عرفتهما في النساء الاخريات. انت تظن على الارجح انك ستتمكن من اغرائي في ضوء الشموع!
- هذه الفكرة تلقى في نفسي صدى استحسان.
- اذن لننسى ببساطة انك دعوتني يا سيد ماديسون.

اعلنت تيشا وهي تميل الى الامام بتصلب لتتناول حقيبتها ودفتر الرسم.

فقال بسكينة تثير السخط:

- خاطبيني روورك، فان كنا سنخرج معا مساء الجمعة فيجب ان نتخاطب باسمينا الاولين.

عيل صبرها فنظرت اليه عابسة وقالت:

- اما سمعت ما قلت؟ لن اذهب معك!
- لما لا؟ الا تظنين انك قادرة على تحاشي تقرباتي بعد كل مجاهراتك الحارة بان النساء هن الجنس الاكثر تفوقا؟ ام تراك لا تؤمنين حقا بكل ذلك الهراء الذي كنت تطلقينه؟

فهتفت غاضبة:

- بالطبع اؤمن به!
- اذن لماذا تخافين الخروج معي الى هذا الحد؟
- لست خائفة!
- حسناً. سأمر عليك في السابعة مساء الجمعة.

نهض بتكاسل ورسم لها تحية ساخرة قبل ان يبتعد وظل فمها يتحرك في انتظار ايجاد الاعتراضات المناسبة حتى بعد ابتعاده عن مرمى السمع.

٤ ـ وجهان في ضوء الشموع

أمضت ثلاثة ايام وهي تحاول العثور على مبررات وجيهة لتلغي موعدها مع رورك ماديسون، فمدت يدها ست مرات الى الهاتف لتخابره وكانت تتراجع في كل مرة لعلمها بانه قادر على نقض اعذارها الواهية. كذلك لم يمكنها طلب اي مساعدة من بلانش لاعتقادها بان تيشا قبلت الدعوة كمحاولة منها للتصالح مع جارها، بل ان عمتها فرحت باذعانها هذا والى حدّ لم يترك لتيشا اي حل سوى ان تذهب معه.

وصل رورك في تمام السابعة ولكن تيشا تقصّدت الا تكون مستعدة، ودخلت غرفة الجلوس بعد مرور نصف ساعة على وصوله وهي تعرف جيدا ان قفطانها الزيتي والازرق المائل الى الخضرة، كان يعزز لون عينيها المتوهجتين بنور المعركة المقبلة. تسريحتها وحدها استغرقتها ثلاثة ارباع الساعة، عقصت شعرها الطويل فوق رأسها كي يتوهج في الضوء الاصطناعي كتاج من الفرو، وقد اضافت هذه التسريحة سنوات الى عمرها واضفت عليها مظهر امرأة مجربة.

ـ بدأت أظن انك سوف تلغين موعدي.

قال لها رورك ناهضا وهو يبدو كامل الاناقة في بدلة السهرة السوداء. ثم سار متمهلا الى حيث تقف ومطلا عليها بقامته الفارعة المهيبة، ومحتويا اياها بنظرة اعجاب وقحة... فسألته بعدوبة:

ـ وما الذي دعاك الى ظن كهذا؟

فلمس باصبعه حجر اليشب الاخضر المتدلي من اذنها وأرسله يتأرجح، وهمس لها بصوت أجش:

ـ ربما ذلك العرق الصغير النابض في عنقك هو الذي اخبرني بانك لست رابطة الجأش كما تبدين.

وقال بصوت أعلى ولصالح بلانش:

ـ تأخرنا، من الافضل ان نمضي.

فاضطرت تيشا الى اخماد الغضب الذي قفز الى عينيها حين استدارت الى عمتها لتتمنى لها ليلة طيبة وكان صعبا عليها جدا ان تبتعد عن يده القابضة على ذراعها، وقال وهي تمس خد عمتها بشفتيها:

ـ لن نتأخر في العودة يا بلانش.

ـ استمتعا بسهرتكما معا.

ثم غمزت تيشا وهمست لها مداعبة:

ـ تذكري، عشرون دقيقة ثم أشعل ضوء المدخل!

فعبقت تيشا وهي تنظر الى مرافقها بسرعة وتقول لعمتها:

ـ الليلة لن تكون هناك حاجة الى ذلك.

كانت تعلم انه لن تكون هناك تحيات مسائية متلكئة خارج الباب.

وسألها رورك بعد دقائق وهو يفتح لها باب السيارة:

ـ عما كنتما تتحدثان؟

ـ انها مزحة عائلية.

أجابته متحاشية لقاء عينيه اللامعتين وهي ترفع تنورتها الطويلة لتستطيع اغلاق الباب.

كان غروب الشمس الذهبي قد صبغ الافق بلون الكريم والعنبر الداكن وتظاهرت تيشا بتأمله حين اخذ رورك مكانه خلف المقود...

وقال رافعا حاجبيه بتهكم:

ـ انت لا تظنين اننا سنتلكأ في توديع بعضنا في نهاية السهرة؟

وأردف حين استدارت اليه مستغربة:

ـ لقد اخذت كفايتي من اضواء المداخل التي كان يشعلها آباء وامهات نافدو الصبر.

ـ ماذا؟ اما كانت هناك بنادق مصوبة اليك؟

ـ كلا، بلا بنادق.

وبسرعة ادار محرك السيارة وارجعها الى الوراء خارجا بها من الممر.

ـ ارجو ان يحتفظوا لنا بالطاولة المحجوزة للعشاء.

فأجابها رورك وهو يخفي ابتسامة عمقت الخطوط حول انفه وفمه:

ـ اخذت احتياطي بتعيين الساعة الثامنة موعداً للحجز، في حال تأخرت في ارتداء ثيابك.

ـ ارجح انك اكثر اعتياداً على نوعية ثانية من النساء، ألست كذلك؟

ـ لك ان تسميه قانون ماديسون.

كان واضحاً انه يهزأ بمحاولاتها في تحقيره، فأعلنت قائلة:

ـ الحق عليك، فانت لم تجد من المناسب ان تعلمني بالمكان الذي سنذهب اليه، وكان من الصعب ان اختار الثوب المناسب وانا لا اعلم هل سنذهب الى مكان صغير يبيع الهامبرغر ام الى مطعم ستيك فاخر.

ـ لقد تبين لك بوضوح اني لست معدماً كالصبيان الذين اعتدت الخروج معهم.

ثم زحلق بصره على لباسها الفخم واردف:

ـ آمل الا تصابي بصداع من كل ذلك الشعر المكوم على رأسك.

فردت محتدة:

ـ الصداع لا يأتيني الا من الشخص المرافق لي. كما ان شعري لن يثقل رأسي ولن اتعثر بالتالي واحرج موقفك امام الناس.

ـ الفكرة ما خطرت لي اطلاقاً لكن حاذري من القاء طعامك في حضني بطريق الخطأ والا اضطررت لاسقاط طعامي على رأسك الجذاب.

كان في صوته نبرة فولاذية لم تلحظها تيشا من قبل، ارغمتها، اكثر مما ارغمها تحذيره، على الجلوس صامتة بقية الوقت. ان رورك ماديسون لم يكن مستعداً فحسب لمبارزتها بالكلمات بل ايضاً للرد على النار بالمثل، ومن دون اي مراعاة لانوثتها.

وفي مرآب المطعم، قصدت تيشا ان تترجل من السيارة قبل ان يتمكن رورك من الوصول الى جهتها ليفتح لها الباب، وضاقت عيناه قليلاً لما رآها واقفة ورأسها مرفوع بتحد! فان كان قد اصدر مرسوماً يقضي بخلع القفازات فسوف تعامله بالمثل وحتى النهاية!

وأعلن هو قائلاً:

ـ افهم من هذا انك لا تريدين الاطلاع على التصرفات الاجتماعية اللائقة التي يعامل بها الرجل المرأة. ليكن اذن ما تريدين.

وكان حفيف تنورتها الطويلة رنة ملكية متعالية حين استدارت ومشت

مسرعة امامه. انما لسوء الحظ، تعثرت عليها السرعة بسبب كعب حذائها العالي فسرعان ما لحق بها وسار الى جانبها بخطوات متوازنة وهو يبتسم لتعبير وجهها المتعض. ولما بلغا مدخل المطعم سبقها بخطوات وحيث فتح الباب وعبر منه، تاركاً اياها تمد يدها بسرعة الى المقبض لكن الباب انغلق في وجهها. وحين لحقت به الى داخل المطعم كانت وجنتاها متوردتين غضباً.

رمقها بعينيه البنيتين بنظرة خاطفة لكنها استطاعت ان توصل رسالته الى تيشا وكأنها تقول: «اني اتصرف بناء على رغبتك فتحملي النتائج...» وقبل ان تستطيع قذفه بجواب قاطع كان رئيس الخدم يقودهما الى طاولتهما.

وما كادا يجلسان حتى جاءت عاملة المطعم، فطلب رورك عصير بندورة وتجاهل تيشا تماماً مما حمل العاملة على ان تسألها ما تريد فردت من بين اسنانها:

ـ عصير برتقال.

صوبت الى رورك نظرة كما السهم المسموم لكن قائمة الطعام امام وجهه كانت كدرع حته منها... ففتحت تيشا القائمة الخاصة بها بغضب ارجف يديها الى حد جعل الحروف تتراقص امامها. انفجرت حانقة فدفعت بالقائمة جانباً وقالت بصوت كالفحيح فيما نظر اليها رورك بحاجب مرتفع:

ـ هذا مستحيل! من الافضل ان تأخذني الى البيت لاني لست مستعدة لتقبل هذا!

ازاحت مقعدها بعيداً عن الطاولة وهمت بالنهوض لكنه امرها قائلاً:

ـ اجلسي.

ثم كرر بنبرة اقوى:

ـ اجلسي والا اجلستك بالقوة!

وادركت تيشا انه كان كريهاً الى حد لن يأنف فيه عن تنفيذ تهديده فجلست بتردد. وراحت ترقب بغضب مستعر الابتسامة المتمهلة التي انتشرت على وجهه الملوح ومن دون ان تصل عينيه البنيتين... وهمهمت بوحشية:

ـ انت تثير الاحتقار!

ـ ان كنت لا تريدين التصرف كسيدة فليس في نيتي ان اكون رجلاً مهذباً . . . الامر يتوقف عليك، فاما ان نستمر في حرب الاهانات هذه او نستمتع بالسهرة .

ـ سوف يستحيل علي الاستمتاع بحضورك المتسلط!

ـ هل تذكرين ان هدنتنا في ذلك العصر احدثت وقتها نتائج طيبة؟

وصلت العاملة بالعصير مما اعطى تيشا فرصة للتفكير في جواب مناسب . . . ضمت اصابعها حول ساق الكوب الزجاجي الدقيق وهي تتظاهر بتأمله . . ثم حدجته بنظرة متحدية كانت متناقضة مع نبرة صوتها البادية الليونة حين اجابت:

ـ لا انكر ان ذلك العصر كان ذا وجه مشرق . وانت، كدليل سياحي، كنت وافر المعلومات ومثيرا للاهتمام، لكن عندما حاولت في وقت لاحق ان تغريني بسحرك، اكتشفت استحالة الاستمرار في الهدنة .

ـ ان كنت قد شعرت هكذا فلماذا وافقت على الخروج معي هذه الليلة؟

ـ انا لم اوافق . . . انت جعلتني اوافق بطريق الاحتيال .

ـ اتقصدين ان مجرد رجل عادي استطاع ان يحتال على انثى ذكية مثلك ويجعلها تخرج معه؟

فأحست في كفها حكة ترغبها في صفع تلك النظرة البريئة الساخرة على وجهه .

واكمل كلامه بفم ملتو:

ـ لقد ظننت انك تحاولين اقناعي بان الرجال عبارة عن عضل كثير وعقل صغير جدا . . . ربما رأيك يحتاج الى بعض التعديل .

ـ ما قصدت ابدا ان المح الى ان الرجال ليسوا متفلتين بارعين لمآربهم .

فضحك وقال:

ـ لديك مجموعة مفردات واسعة وتقدرين دائما ان تختاري الكلمة المناسبة التي تحوّل المديح الى تحقير .

ـ وكم انت عميق الادراك وحاد الملاحظة!

وهذه المرة، كانت هي التي قوست حاجبيها الدقيقين بسخرية في تجاهه .

فسألها وهو يلتقط قائمة الطعام مجددا:

ـ هل تطلب الطعام؟ قد تحبين شيش الكباب المشوي على اللهب الذي ينسجم مع طبعك .

ـ وانت، ماذا ستطلب؟ سمك ذئب البحر؟ انهم لا يذكرون اذا كان له فم كبير ام صغير .

ـ في الواقع . اظن اني سأطلب شيش الكباب، فهو يناسب ذوقي .

كان الطعام كارثة، واضطرت تيشا في النهاية ان تطلب شريحة لحم مشوية لكنها لم تستطب مذاقها على الرغم من طراوتها وعصيرها، ولو انها كانت تمضغ قطعة من الجلد لما وعت الفارق بينهما، ففكرة واحدة كانت تسيطر عليها، هي ان تنهي العشاء وتعود الى بيت عمتها . اعتذرت عن شرب القهوة في ما بعد ثم اضطرت لان تجلس ساكتة حتى يشرب رورك قهوته .

ولما اعاد اخيرا فنجانه الى الصحن سألته بصبر نافذ:

ـ هل تلعب الآن؟

ـ اظن ذلك .

واشار الى النادل بأن يأتيه بالفاتورة .

كانت هناك دقائق اخرى من الانتظار، مشت تيشا مسرعة في اتجاه الباب الخارجي وكلّها لهفة الى مغادرة المكان، لكن اصابع رورك اطبقت على لحم ذراعها اللذن مخففة من سرعتها . وقال لها:

ـ هناك مرقص صغير في الطابق الاول وقد خطر لي ان نقضي فيه ساعة او اثنتين .

فتصلبت لدى سماعها كلماته وقالت وهي ترفع اليه بصرا متوقدا:

ـ واذا رفضت وألحيت عليك باعادتي الى البيت؟

فرمقها بثقة مغرورة واجاب:

ـ لكنك لن تلحي، أليس كذلك؟ لن تحرميني من رفقتك المفعمة بالحيوية او بالاحرى رفقتك الجذل؟

ـ كان يجب ان تقول رفقتي المغتصبة .

غير انها لم تقاوم حين قادها بعيدا عن الباب وهبط معها الى الردهة ومن ثم الى غرفة خافتة الاضواء كانت مكتظة بأزواج من الرواد متجمعين حول طاولات صغيرة، ومضاءة بشموع عنبرية مترا قصة . وجدت تيشا صعوبة

في التكيف البصري مع ظلمة الغرفة النسبية، مما اضطرها للاعتماد على رورك الذي قادها الى طاولة صغيرة مستديرة، كانت هناك فرقة جاز تعزف مقطوعات غنائية هادئة.

وسألها رورك بعد ان طلب شرابا:

ـ هل نرقص؟

أعصابها باتت على وشك الانفجار لكثرة ما كتمت من غليان. فأهدته نظرة كره ساخط وقالت:

ـ ما جئنا هنا إلا من اجل الرقص، أليس كذلك؟

فغمغم وهما ينهضان معا ويعبران المسافة القصيرة الى الحلبة:

ـ لدي شعور بانك سوف تدوسين على اصابعي كلها.

فلم تفهمه تيشا ان لا خوف عليه من هذه الناحية اذ ليس في نيتها اطلاقا ان تقترب منه الى ذلك الحد... اطبق على يدها بيده التي احستها شديدة الدفء بالنسبة الى برودة اصابعها الثلجية، اما يدها الاخرى فكانت تشد كتفه بعيدا اكثر مما ترتكز عليها، فيما احاط خصرها بذراعه الثانية بحزم، وراح يقود خطاها لتجاري خطاه، لكنها ابقت بصرها بعيدا عن رقعة وجهه.

ألصق ذراعه بظهرها وقال بلطف:

ـ استرخي يا تيشا.

ثم شدّد قبضته على يدها وجذبها اليه بقوة حتى أصبحت ملتصقة بصدره الصلب. وذراعه تمنع مقاومتها بقسوة حديدية، ولحسن حظها توقفت الموسيقى في تلك اللحظة فاضطر رورك لافلاتها.

عادا الى طاولتهما وبدا عزوفا عن متابعة الحديث اذ استرخى على مقعده ليتفحص الفتاة بتأمل هادىء...

رشفت الشراب على سبيل التذوق ثم اعادت الكوب الى مكانه غير راغبة في اكماله. كانت الفرقة الصغيرة تعزف لحنا ايقاعيا صاخبا فحاولت الاصغاء اليه باستمتاع، لكن صمت رفيقها المطبق ازعجها كثيرا وحال دون استمتاعها.

ـ لا احسبك سترغب في مراقصتي ثانية، فلماذا لا نتصرف؟

ـ بل يجب ان نبقى.

على صبرها فسألته غاضبة ومتنهدة في آن واحد:

ـ لماذا؟ اننا بالتأكيد لن نمضي الوقت جالسين الى هذه الطاولة نحدّق الى بعضنا بعضا؟

عادت الفرقة تعزف اغنية هادئة، فاذا برورك يقف الى جانبها وينهضها من مقعدها. ثم احاط خصرها بذراعه وابقاها الى جانبه حتى وصلا حلبة الرقص... وفجأة ادارها صوبه واحتواها بين ذراعيه قبل ان تتحقق مما يجري، ثم اكتشف انه قد شبك يديه حول خصرها.



ـ لا احب الرقص بهذه الطريقة.

ـ ولم لا؟

فتمتمت بتهكم:

ـ بسبب تحفظاتي الخلقية المعارضة للتحرر العصري...

ـ لا تشعري بالحرج فلا احد يراقبنا.

ـ لا يهمني ذلك!

وازاحت رأسها الى الخلف لتوجه بريق غضبها الى وجهه المنحوت القسمات.

فركز عينيه الكسولتين شبه المغمضتين . . . واستفزها بقوله:

- هل تخافين من عناق غير متوقع؟

ولمس شفتيها بدفء واختصار ثم عاد ينظر اليها ليراقب تسلل الدم القاني الى وجنتيها.

فسألته وقد استغربت ما اعترى انفاسها من . . . عدم اتزان:

- أهذا افضل شيء استطعت فعله؟

فأطلق بصره المتألق مرحا باتجاه الراقصين حولهما واجاب بنعومة:

- يجب مراعاة الظروف.

فقالت تستفزه:

- ما كنت اعلم ان التحفظ هو احد فضائلك.

فرد وعيناه تضحكان منها مجددا:

- وانا ما علمت بانك ترين فيّ اية فضائل!

وحالما انتهت الاغنية، انتزعت تيشا نفسها من بين ذراعيه اللتين لم تبديا اية مقاومة، وما ان عادت بسرعة واستقرت على مقعدها حتى لحق بها رورك الى الطاولة، وبدل ان يجلس بدوره، وقف قربها ولمس كتفيها، ثم ابتسم حين ابتعدت عنه منكمشة. . . وقال لها هازئا:

- حسبتك تودين الذهاب.

فقذفته بنموذج جديد من نظرتها الثائرة وهي تنهض واقفة. اطبقت فمها على تعليق حاد كان يتأرجح على لسانها اذ خشيت من رد فعل قد يجعله يغير رأيه.

كان القمر كقطعة نقد كبيرة فضية وسط عتمة السماء المخملية المرصعة بنجوم متألقة تغمز لها وهي تحدق اليها عبر نافذة السيارة، وقد صممت على تجاهل الرجل الجالس خلف المقود. . . احست بقايا اختلاج في جلدها وكان احساسا مثيرا للقلق.

وسألها رورك:

- هل ستعاقبينني الآن بالصمت؟ من الصعب التصديق ان جعبتك فرغت من عبارات التحقير.

- لا تتكل عليّ سخريتك، اني متعبة ولا ابتغي الاّ العودة الى بيتي.

- كانت سهرة ممتعة.

- ومتميزة بغيوم الملل!

انطلقت منه ضحكة خافتة وقال:

- خلت لدقيقة من الزمن انك القيت سلاحك.

- استبدل هذه الخاطرة باخرى!

فتمتم بلطف:

- سوف تحاربينني حتى آخر نفس، اليس كذلك؟

انحجب ضوء القمر بسبب اشجار الصنوبر العالية على جانبي الطريق الريفية السائرين عليها فلاحقت ببصرها ضوء السيارة الامامي في انتظار وصولهما الى المنعطف المؤدي الى بيت بلانش.

وعاد رورك يضحك بخفوت وقال:

- هناك اغنية تقول، عندما يلتقي شيء لا يقاوم بشيء لا يتزحزح فلا بد من حصول نتيجة ما.

- وأخالك تصف نفسك كشيء لا يقاوم. . . لكن في علمك يا سيد ماديسون ان نزعتك القوية المسيطرة تثير فيّ الغثيان.

- اخبرتني بلانش ان اباك رجل مستقل الرأي ومسيطر. هل هذا صحيح؟

فاجابت وهي تقذفه بنظرة مستعرة:

- نعم، وأنا اشبهه من هذه الناحية ولا أتأثر بمظاهر السحر واللمعان.

فرد لها رورك الصاع بقوله:

- سمعت من بعض العالمين ان الفتيات يملن الى الزواج من رجال يشبهون آباءهن.

فهاجتها رجفة تخوف قلّصت عضلاتها. . . لقد سمعت بهذه النظرية من زمن بعيد، وناصرتها كطفلة وكمراهقة لاعتقادها آنذاك بأنه ليس هناك ما هو أروع من ان تتزوج رجلا كامل الرجولة وفائق القوة كوالدها، وبالطبع تخلت عن تأييدها ذاك بعد ان اضطرت للعيش تحت سلطته الطاغية في السنوات القليلة الماضية.

وقالت تؤكد عبارة رورك الى حد ما:

- قد يكون ذلك صحيحا في بعض الحالات لكنه لا ينطبق على وضعي.

- لماذا؟

- لان الرجل الذي سأتزوجه يوما، يجب ان يحترمني كفرد وليس كزوجة

مملوكة، فيصدر اليّ الاوامر ويملي عليّ ارادته كما لو كنت خالية من اي احساس خاص بي. لن يكون شرطي الوحيد ان يحبني. بل ان يثق بي ايضا، وان لا . . . . ان لا . . . .

ولوحت بيدها في الهواء بحثا عن الكلمة المناسبة لتستكمل بها مطلبها.

ـ وان لا يطفيء نور المدخل.

هزت رأسها توافقه بحماسة وقالت وهي تعيد يدها الى حضنها.

ـ نعم، بمعنى انه لا يجب ان يشعر بالحاجة الى مراقبة تحركاتي وتصرفاتي.

ـ وهل كان والدك يعامل امك بهذه الطريقة؟

جلست تيشا بلا حراك . . . وتذكرت ان كل المجادلات التي قامت بين ابويها، لم تكن اي منها منبثقة عن الغيرة او عدم الثقة في ما بينهما. لقد كان حبهما لبعضهما قويا جدا ويعبران عنه بطرق عديدة، ولذا اجابت سؤال رورك بهدوء:

ـ كلا، ما شك ابي في تصرفاتها ابدا.

ـ اذن لا بد انها كانت امرأة خانعة جدا.

فضحكت تيشا لشدة استغرابها وقالت:

ـ امي تخضع؟ كانت عنيدة كأبي تماما. لقد تشاحنا كثيرا ولكن من دون اي حقد او مرارة على الاطلاق. وعندما يصلان قمة جدال لاهب، كان ينفجر احدهما ضاحكا فيتبخر الخلاف وكأنه لم يكن. اني اعتبر زواجهما فريدا من نوعه ونسبة واحد من بين مليون زيجة.

حديثها هذا عن الماضي اكسب ودا وجدية متبادلين فتابع رورك الحوار وسألها:

ـ متى فقدت والدتك؟

ـ عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري.

ـ لا بد ان والدك صدم كثيرا بوفاتها.

فاعترفت تيشا قائلة:

ـ اجل، استمر لمدة طويلة يحوم في ارجاء البيت كروح تائهة. . . كنت وابي متلاصقين جدا في السنوات الاولى التي تلت وفاة امي. لكن في خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة . . . وهنا ارتجفت اذ تذكرت بعضا من مشاحناتها الاكثر حدة وصراخا فأردفت، صار العيش معه شبه مستحيل .

فعلق رورك:

ـ ابنة البابا الصغيرة كبرت وما عادت بالنسبة اليه طفلة بل صارت مع الوقت صبية جميلة جدا . . . ولكونه ذاق في شبابه الكثير من ثمار المغامرات العاطفية، فهو يعرف مدى السهولة التي تمكّن الرجل من استغلال فتاة جذابة على غرارك، ولا ريب ان هذا هو سبب رغبته في تزويجك وكي ينأى بك عن طريق الوقوع في الخطيئة.

مديحه هذا وتصريحه الايحائي اللاحق، انتزعاها بعنف من استغراقها الحالم في ثنايا الماضي . . . وحين رحب بها ضوء ينبعث من نافذة في بيت عمتها وعت وصولها وعندما توقفت السيارة على الممر، لامت نفسها بشدة لكونها نسيت تحفظاتها ولو لدقيقة واحدة، فهي لم تكن ترغب في ان يعرف رورك اي شيء عن حياتها الماضية . . . ولكي تستعيد بعضا من التوازن التصرفي، صرحت وهي تضع يدها على مقبض الباب ايذانا بفتحه:

ـ تأكد ان والدي ما كان ليسمح لي ابدا بالخروج مع ذئب مثلك.

فبادر حركتها بحركة اكثر سرعة وحزما اذ اطبق بأصابعه على رسغها قبل ان تتمكن من فتح الباب وقال:

ـ لن تذهبي بهذه السرعة!

كان وجهه قريبا جدا من وجهها فتراجعت حتى التصقت بظهر المقعد واردف رورك موضحا:

ـ ان اي ذئب يحترم نفسه لا يدع امرأة رائعة مثلك تفلت منه بدون ان يقبلها مودعاً.

فأحست كما لو ان طبولا تضج في اذنيها وأدركت اخيرا ان دمها هو الذي يفور ويدق بهذا العنف . . . جفّ حلقها بشكل غير عادي وبرغم ذلك كله هتفت به محتدة:

ـ كان يجب ان ادرك من البداية انك واحد من هؤلاء الذكور المقرفين الذين يتوقعون ثمنا معينا لقاء دعواتهم هذه.

فقال موافقا اياها بسلاسة:

ـ هذا صحيح.

ثم اعتقل ذقنها بيده ورفعه واثبت قناعة تيشا بانه قد عرف العديد من النساء، فاطلقت نفسا راجفا وهي ترخي الانضباط الذي ابقاها جامدة

وسألته:

- والآن، هل تسمح لي بالذهاب؟

كان صوتها مليئاً باحتقار جليدي وادهشتها قدرتها على جعله هكذا بالرغم من احاسيسها المغايرة.

حدقت الى وجهه القريب فرأت فمه يفتر عن ابتسامة عريضة... وكجواب على سؤالها مد يده الى المقبض وفتح لها الباب، فاشتعل الضوء الداخلي اوتوماتيكيا ملمعا خصلات شعره الذهبية، في حين انسلت من مقعدها ثم اغلقت الباب خلفها بسرعة.

٥- وجهه في الذاكرة!

نقلت تيشا فرشاتها الى يدها الاخرى وثنت اصابعها المتقصلة لطول ما قبضت عليها. تفحصت الرسم غير المكتمل وتهدلت كتفاها أسى وخيبة... الخط يهرب اليوم منها، فأي شيء تفعله لا يتكلل بالنجاح الذي تريده له.

اطلقت تنهيدة ثقيلة استرعت انتباه بلانش التي كانت ترسم بدورها، فسألتها:

- اتواجهين صعوبات معينة؟

- أجل، انعدام الموهبة!

فوضعت بلانش فرشاتها جانبا ومسحت يديها بقطعة قماش وسارت الى جهة الاستديو الثانية المخصصة لابنة اخيها. اخرجت سيكارة من جيب ردائها الواقي واشعلتها ثم القت يدها على كتف تيشا وسألتها:

- اين المشكلة؟

فتطلعت الفتاة اليها واجابت وعلامة استنكار تعلو وجهها:

- هذه الباقة كلها غلط في غلط وتبدو وكأن العنق البنفسج بخط مستقيم... فعلت الشيء نفسه لما رسمت باقة النرجس. أي شيء أفعله اليوم اجدني عاجزة عن اتقانه... أعلم اني ارسم بطريقة مغلوطة انما لا اقدر ان اصحح خطأي.

فقالت عمتها ترشدها:

- لا يمكنك ان تحصري اهتمامك باخطائك وحدها والا اعتدت فقط على تعلم الاغلاط وارتكابها. اكتشفي الاشياء الصحيحة التي تفعلينها لتتمكني

من تكرارها.

فاختفى العبوس من وجه تيشا وقالت مبتسمة:

- بلانش! انت جوهرة! لا ادري من اين تأتين بكل هذه اللآلىء الحكيمة!

فابتسمت بلانش بدورها وربتت على الخصلة البيضاء التي رافقت شعرها منذ الولادة وبدت الآن متناقضة مع الحاجب الاسود القريب منها، واجابت:

- انها تأتي من الفطرة السليمة ومن التجربة التي تخبرني الآن انك متقلصة الاعصاب كوتر مشدود... ان التوتر قد يبعث احيانا على الابداع لكنه بالنسبة الى وضعك الحاضر لا يزيدك الا خيبة وشعورا بالتقصير.

- وماذا تقترحين؟

- اقترح ان تأخذ اجازة في ما تبقى من العصر.

ثم رفعت بصرها الى منور السقف وهبطت به الى النوافذ وقالت:

- الضوء خف في أي حال.

فنظرت تيشا بدورها الى النوافذ ورأت عبر زجاجها تجمع الغيوم الرمادية يحجب شمس العصر الباكر.

تنهدت تيشا وهي تنظف فراشي الرسم، فكل جهودها ذهبت سدى وما استطاعت ان تنتج نوعية رسم صالحة للمبيع... وكل هذا الفشل بسبب الوجه الذي بقي يتراقص امام عينيها. الوجه ذو الشعر البني الذهبي والعينين الداكنتين المخمليتين. كان من الافضل بكثير لو انها لم تخرج معه في الليلة الماضية.. كانت تفضل ان تعتبر نفسها جبانة لرفضها منازلته على ان تواجه الاكتشاف بانه قادر على اثارتها.

- تيشا، تيشا، هل تسمعينني؟

أجفلت حين وعت ان بلانش تكلمها وقالت:

- آسفة، كنت شاردة في أحد احلام اليقظة. ماذا قلت؟

فرددت عمتها وجبينها يتغضن بعبسة فضولية:

- سألتك اذا كنت ذهبت يوما الى فوهة بركان الماسّ.

- كلا، فكرنا مرة ان نزورها في رحلة ترفيهية أنا وبعض الاصدقاء لكننا لم نفعل، لماذا تسألين؟

- خطر لي ان نذهب اليها هذا العصر بالسيارة.

- كي تنقب عن الماس؟

وضحكت لنكتتها اذ ما قدرت ان تتخيل عمتها، الرسامة المبدعة، تنزل في حفرة وتحفر التراب!

- قد نفعل ذلك، لكني قصدت ان نرسم نماذج لشخصيات حية، كسائق باص في اجازة مثلا.

- اني أحبذ أي اقتراح كان.

وأضافت قائلة لنفسها، وأي شيء كفيل بابعاد افكاري عن رورك ماديسون».

فقالت عمتها بلهجة ملطفة وقد انتبهت لرنة يأس في صوت تيشا:

- كل واحد منا يواجه يوماً سيئاً بين حين وآخر، فلا تدعي ذلك يثبط عزيمتك..

ولم تقدر تيشا ان تصحح مفهوم عمتها للسبب الحقيقي لضيقها، فبلانش تحب رورك ولن تفهم شعورها المشمئز من جراء تفكيرها الدائم فيه. كذلك لا تقدر تيشا ان تعبر عن امتنانها لعمتها لامتناعها عن طرح اي سؤال حول سهرة البارحة لأن تيشا لم تكن مستعدة للتحدث عنها.

وقالت لها بلانش بصوت مرتفع وهي تخرج من الاستديو بعدما وضبت ادوات الرسم:

- لا تلبسي ثيابا انيقة. فقد تقررين القيام ببعض الحفريات.

استبعدت تيشا هذه الفكرة لكنها ارتدت بنطلون جينز كالحا وقميصا زيتيا وعقدت شعرها الطويل الى الخلف بايشارب ذي لون اصفر فاتح وتناولت من الخزانة جاكيتا قطنيا قديما حملته على ذراعها. ثم خرجت الى الحديقة تتجول فيها في انتظار عمتها.

كان العصر قد انتصف قبل ان تنعطف بلانش بسيارتها الى الطريق المرصوفة بالحصى والتي تحف بها من الجانبين اشجار متراصة من الصنوبر يهب عليها هواء خفيف وكأنه همسات تروح وتجيء بين اوراقها الابرية، فيما شمس الصيف تظهر من خلال غيمة كبيرة وتنحدر مشعة لتلقي على الارض اصابع ذهبية. كان السكون حولها عميقا جدا وحتى خيل لتيشا تقريبا انها البشريان الوحيدان على الطريق الممتدة اميالا امامها، ولهذا فوجئت لدى وصولها، بصفوف السيارات المحتشدة في المرآب.

وبعد دفع رسم الدخول الزهيد الى الحديقة العامة، سلكنا الدرب المؤدي الى تلك المساحة المحروثة من الارض والمخصصة للتنقيب. وبخلاف الزوار الآخرين الحاملين ادوات حفر مختلفة كالمجارف المخلية والمغارف الصغيرة والأوعية المعدنية كانت هي وبلاتش مسلحتين فقط باقلام ودفاتر رسم. وعلى امتداد الحقل القائم على جانبي التل رأت الناس موزعين، اما فرادى أو ازواجا أو مجموعات عائلية، وهم ينقبون باجهاد عن الماس ويغربلون التراب البني الغامق.

فمنذ ملايين السنين حصلت انفجارات بركانية قرب منطقة مغطاة بالمياه، وقد ادى تبريد الماء المفاجيء للصخور المصهورة الى ضغط هائل، حول بدوره الجزئيات الكربونية الى حبيبات ثمينة من الماس والبلور.

وهذا الرحم البركاني لموجودات الماس الطبيعية الوحيدة في القارة الاميركية الشمالية كانت تقف عليه تينا مباشرة وقد زودها ذلك بشعور نشوة واعتزاز.

الاكتشاف الاول لوجود الماس في العام ١٩١٠ أثار هجمة عليه كادت تعادل في شراستها هجمة كاليفورنيا على الذهب، لكن تينا تذكرت ايضا الغموض الذي اكتنف ماضيه وحيث واجهت محاولات استخراج الماس التجارية كثيرا من الخيبة والحرائق الغامضة وحتى جرائم القتل، والى ان ابتاعت ولاية اركنساس فوهة بركان الماس في ضواحي مدينة مرفريزبورو وحولتها الى متنزه عام.

افترشت تينا الارض مسندة ظهرها الى جذع شجرة وركزت دفتر الرسم على ركبتيها، الا انها وجدت الركون مستحيلا في وسط جو جاذب كهذا فنهضت من مكانها واتجهت الى الحقل حيث رأت رجلا كهلا شائب الشعر يقف حتى ردفيه في حفرة حفرها بنفسه. كان يغربل التراب حبة حبة قبل ان يقلقه ويلحقه بكومة التراب المتزايدة بالقرب منه.

وخاطبته تينا سائلة:

ـ هل حظيت بأي شيء؟

فرفع بصره وعيناه الزرقاوان تتألقان فوق خديه المكتنزين الباسمتين، وأجابها وهو يقلف بعيدا كمية من التراب كان جمعها في وعاء، ويتناول من جيبه منديلا ليمسح جبينه المتعرق:

ـ كلا! ستكون العملية اسهل بالطبع لو اني اعرف الشيء المحسوس الذي ابحث عنه!

فضحكت تينا واجابت:

ـ تلك ستكون مشكلتي ايضا!

فاستند الرجل الى مدار الحفرة ليستريح قليلا وقد بدا عليه الترحيب بأخذ اجازة قصيرة وبالتحدث معها، فقال:

ـ يقولون انك اذا وجدت حجرا منه فلا يمكن ان تظنه اي شيء آخر سوى انه حجر ماسي، لكن المشكلة هي ان تتذكري ان هذه الأحجار لا تكون دائما بيضاء، فهناك كذلك ما هو أصفر وبني وزهري وأسمر، هذا اذا لم اذكر ايضا وجود احجار ماسية سوداء. لكن ما داموا يسمحون لنا بالاحتفاظ بما نجد فلا يمكننا مقاومة هذا الاغراء، وقد يعثر شخص على حجر منه.

فردت باسمة:

ـ أظن ان ذلك يتوقف على صاحب الحظ، هل هو يجلس على كتفك أو لا يجلس؟

فأومأ برأسه موافقا وقال:

ـ اذا اخذنا بعين الاعتبار ان معظم هؤلاء الناس هنا هم هواة، والاقلية لديها خبرة بسيطة في اقتفاء اثر الماس، فلا شك ان الحظ يلعب دورا مهما. لكن دائما هناك شخص ما يجد حجرا.

ـ ارجو ان تكون اليوم ذلك الشخص.

فعاد يلتقط معوله وقال بلا اكتراث:

ـ الاثارة تكمن في البحث.

فتمنت له حظا سعيدا، وتابعت السير في الحقل ثم ابتسمت حين وجدت نفسها تتمعن في التراب وتتوقع رؤية ماسة بلورية ملقاة على سطحها. . . أكدت لنفسها ان حمى الماس معدية، ولازمتها ذكرى الرجل ذي الوجه الباسم المستدير والمفعم بحب كبير للحياة. وقبل ان تفارق الذكرى مخيلتها قررت ان تسجلها بريشتها، فوجدت صخرة مريحة استندت اليها وفتحت دفتر الرسم.

في محاولتها الاولى لم تتمكن من رسم ملامحه بدقة فقلبت الصفحة الى

اخرى جديدة، وهذه المرة لم يكن هناك اي تردد في شطحات قلمها وهو يطير هنا وهناك على الصفحة. وبدا هرمون الادرينالين النشط يضخ في عروقها ويعزز احساسها المنتشي بأنها كانت تحقق افضل صورة رسمتها في حياتها.

وفيما هي مستغرقة في عملها وصلت عمتها ووقفت الى جانبها تتأمل انتاجها ثم هتفت باعجاب:

ـ هذه ممتازة يا تيشا! لقد صورت ملامح رورك بدقة!

فتوقف قلمها فجأة، اذ ان الوجه المحدق اليها من الورقة كان وجه رورك ماديسون، يبتسم وفمه منقوس قليلا وفي عينيه تلك النظرة الكسولة المتغطرسة. تقلصت عضلات معدتها الى حد الالم حين وعت ابعاد ما فعلت.

تغاضت بلانش عن صمت الفتاة المطبق وطفقت تعدد حسنات الصورة الناجحة بقولها:

ـ الابتسامة التلميحية تدل دلالة كبيرة على ما يتمتع به من روح مرح فائقة، كذلك استطعت التقاط القوة والعزم في خطوط الحنك، وما يدهشني اكثر، براعتك في اظهار تلك الذاتية التي هي جزء لا ينفصل عن شخصيته.

فهتفت تيشا وهي تغلق الدفتر وتهب واقفة على قدميها:

ـ انه متغطرس!

ـ انه يجري الدم حارا في عروقك، اليس كذلك؟

ـ كلا!

وحالما نطقت هذا النفي ادركت ان عمتها كانت تلمح الى اثارة رورك لعصبيتها وليس لرغبتها العاطفية، فاشتعلت وجنتاها بلهب الخجل واصلحت غلطتها بالقول:

ـ قصدت ان طباعنا تتنافر مع بعضها البعض.

ـ ان التفاعل الكيميائي بين شخصين قد يكون قابلا للتناغم أو للاحتراق، وواضح ان تفاعلكما انت ورورك ينتمي الى الشق الثاني.

تنهدت تيشا من اعماق قلبها وفكرت في نفسها كم هو دقيق تعبير الاحتراق هذا! مسحت جبينها المتعرق بظاهر كفها وهزت رأسها موافقة على تحليل عمتها التي سارعت الى مداعبتها بقولها:

ـ لا تتجهمي هكذا يا عزيزتي فليس الامر بيدك ان كنت لا تميلين اليه.

فغزا الضيق عمق عينيها الخضراوين وهي تركزهما على عيا المرأة الاكبر سنا وانتابها بعض التردد.. ثم اجتاحتها رغبة قوية في بث همومها لشخص تثق به، فقالت وهي تتلعثم وتبتلع ريقها الجاف:

ـ رورك ماديسون يمثل بالنسبة الي... كل الاشياء التي لا احبها في الرجل... انه مغرور ويجادل كثيرا ومسيطر. لكنه... لكنه... يشعرني بأنوثتي اكثر مما اشعرني بها جميع الشبان الذين خرجت معهم.

ـ هل تقصدين بقولك انك تنجذبين اليه ؟

فتململت تيشا بقلق وقالت واصابعها تقبض بعنف على دفتر الرسم:

ـ اعلم ان كلامي يبدو بلا معنى... انا لا أميل اليه ولا احترمه، لشعوري بأن النساء مجرد وسائل للتسلية بالنسبة اليه... انه من النوع الذي لا يعتبرهن مخلوقات بشرية بل العابا يقذفها جانبا حالما يفتقد فيها عنصر التسلية.

ـ هذا حكم عنيف الى حد ما.

ـ لا اعتقد ذلك فهو واحد من هؤلاء الذكور المفترسين الذين يستخدمون سحرهم لبعث الاطمئنان في نفسك ثم يندفعون الى انشاب اظافرهم فيك.

ـ انت بالكاد وجدت وقتا للتعرف اليه جيدا، اليس من الظلم ان تدينيه بهذه السرعة؟

ولما رأت الفتاة تتحفز لنفي كلامها سارعت تردف انما بهدوء:

ـ لا اقصد انك مخطئة في آرائك التي كونتها عنه لكن تذكري ان لقاءكما الاول اكتنفته ظروف مشؤومة اثرت على موقفك اللاحق منه.

ـ احسب انه كان سيثير فيّ الانفعالات السلبية ذاتها بغض النظر عن كيفية التقائي به.

تأملتها عمتها مليا وأجابت:

ـ قد يكون ذلك صحيحا، لكن ما يضايقك اكثر هو معرفتك بأنه يثير فيك رغبات حسية اليس كذلك؟

فأطبقت تيشا فمها بشيء من الوجوم وهزت رأسها بجواب تأكيدي وقد شعرت بأنها تفضح مشاعرها.

تنهدت بلانش وأحاطت كتفيها بذراع حانية وهي تحييها:

ـ ليتني اعرف ما يجب ان اقول يا تيشا، فهذه امر منوط بك وعليك ان تتدبريه بما ترينه مناسبا لمصلحتك . . . ما رأيك ان نرجع الآن الى البيت؟ يمكننا التعريج على احد المطاعم لنرتاح من تحضير العشاء. اعرف مطعما صغيرا رائعا يقدم وجبة لذيذة من سمك السلمون وفطائر الذرة المقلية.

ـ ذلك يبدو مغريا.

وافقتها تيشا محاولة مجاراة المرح والحماسة الظاهرين في صوت عمتها وهما تعودان جنبا الى جنب لعبور الممر المؤدي الى المرآب.

ورفعت بلانش بصرها نحوه في السماء الضبابية وقد تحولت الآن الى لون رمادي داكن يهدد بالاضطراب، وقالت:

ـ يبدو ان تلك الغيوم قررت اتحافنا بمطر غزير . . . لا ادري ايهما اكره اكثر، قيادة السيارة بعد حلول الظلام أو تحت وابل المطر!

فاقترحت تيشا قائلة:

ـ لسنا مضطرتين لتناول العشاء على الطريق الا يمكننا طهو شيء بسيط في البيت.

ـ انا بحاجة الى تغيير الرتابة.

وفي اثناء العودة بدا وكأن رصدها الجوي سيكون صحيحا ولكن حين خرجنا من المطعم كان المطر ينهمر بغزارة، فقبلت بلانش بكل ممنونية عرض تيشا بأن تنوب عنها في قيادة السيارة، والمسافة الى البيت مجرد اميال قليلة.

وبالرغم من ان موعد غياب الشمس لم يكن قد حان بعد الا ان الغيوم المكفهرة جعلتها تبدو سوداء كما الليل. ومع ان ماسحتي زجاج السيارة الامامي كانتا تتحركان بسرعة قصوى جيئة وذهابا لكن انهمار الماء كان اسرع منهما ولذا تنفست تيشا الصعداء لما وصلتا الدرب المؤدي الى البيت.

وسألتها بلانش:

ـ هل تتشجع قليلا وتتوقف عند صندوق البريد لنأخذ ما فيه من رسائل؟

فأجابت تيشا:

ـ لا ارى ما يمنع ذلك، فالطريق ليست موحلة كثيرا لنخشى انغراز الدواليب فيها، سأتوقف بمحاذاة الصندوق تماما وحيث ما عليك الا ان

تنزلي زجاج النافذة وتمدي ذراعك الى الصندوق.

فغمغمت عمتها:

ـ اني انتظر وصول بعض الرسائل المهمة.

ـ لن يزعجني التوقف.

كشفت اضواء السيارة صف الصناديق على جانب الطريق فخففت تيشا سرعتها وتوقفت بمحاذاة الصندوق الاول. وحالما انزلت بلانش زجاج النافذة ومدت يدها لتجمع محتوياته هجمت الريح حاملة المطر الى الداخل، فسارعت المرأة الى اقفالها قبل ان يبللها المطر كليا، وهتفت ضاحكة وهي تهز قطرات الماء عن ذراعها المكشوفة:

ـ يا لهذا الحمام البارد! هيا الى البيت حيث الدفء والجفاف.

قصف الرعد منذرا بليلة ليلاء حين ادخلت تيشا السيارة بحذر الى المرآب وقد حمدت الله على انها تركتا بابه مفتوحا وبالرغم من ان ذلك يشكل تشجيعا للصوص على دخول المنزل.

وبعدما دخلتا البيت عبر الباب الموصل اليه من المرآب قالت بلانش:

ـ عليّ ان انزع هذه البلوزة حالا . . . ما رأيك ان تباشري بصنع القهوة؟

وسارعت الى التخلص من قطعة ردائها المبللة واردفت ضاحكة:

ـ انه شيء لا يصدق ان انغمس بالماء الى هذا الحد من مجرد فتح النافذة لبضع ثوان!

كانت تيشا قد ملأت ابريق القهوة بالماء من تلقاء نفسها، وكتفاها ما تزالان متقلصتين من جراء انحنائها على المقود وتحديقها المستمر الى الطريق الغارقة تحت سيول المطر. وقالت لعمتها تمازحها:

ـ سارعي الى تبديل ثيابك والا جرعت كل هذه القهوة بمفردي!

وبعد ربع ساعة كانت تيشا تتكور على المقعد الوثير في غرفة الاستقبال وبقربها فنجان طازج من القهوة الساخنة وهي تصغي الى ايقاع المطر على زجاج النافذة فيما البرق يضيء الفضاء في الخارج. كانت بلانش قد غيرت ملابسها وجلست على الاريكة تفتح الرسائل تباعا. وغمغمت فجأة:

ـ أوه . . . ماذا سأفعل الآن؟

فالتفتت اليها تيشا ورأتها تحدق الى رزمة كبيرة فسألتها:

ـ ما الخطب؟

ـ ذلك الغبي، ساعي البريد، وضع هذه الرزمة في صندوقنا بطريق الخطأ فهي تخص رورك.

ـ الا يمكنك الانتظار لترى رورك ثانية وتسلميها اليه؟

فقضمت بلانش اظفرها بانزعاج وأجابتها:

ـ نعم، يمكنني ذلك. لكن عندما جاء تلك الليلة ليصطحبك الى السهرة، ذكر في سياق حديثه القصير معي ان لديه بعض التخطيطات الهندسية التي كان من المفروض ان ينجزها يوم الاثنين، لكنه جمد التنفيذ لانه كان ينتظر وصول بعض المعلومات حول انتاج معماري جديد. وقد امل ان يتسلمه في بريد اليوم. ولكن الساعي جعلني اتسلمها عوضا عنه.

فلم تقدر تيشا ان تحمل نفسها على الاحساس بأي تعاطف مع مشكلة رورك، فقالت:

ـ لا لوم عليك في ما حصل.

ـ صحيح، لكني اعلم انه بحاجة اليها ليستطيع انجاز التخطيط المطلوب. هل لديك مانع من الذهاب بسرعة الى... اوه... لا بأس.

هزت بلانش رأسها بدون ان تكمل السؤال، وقالت:

ـ سأحملها اليه بنفسي.

ـ هذه سخافة. فانت لست ملزمة بايصالها اليه في هذه العاصفة!

ـ أعلم مبلغ حاجته اليها لانه من الصعب على المرء ان يحاول انجاز شيء ما دام يفتقر الى ادوات المواد الضرورية لذلك.

ـ قلت انك تخافين قيادة السيارة في طقس عاصف كهذا. ومع ذلك انت مصممة على الذهاب، اليس كذلك؟

فأجابت بلانش وهي تفتح خزانة الحائط لتخرج معطفها الواقي وشمسيتها:

ـ اعرف كيف تشعرين نحوه يا تيشا، الا انه جاري وصديقي وما كان ليحجم عن فعل الشيء نفسه معي لو كان الوضع معكوسا، وبغض النظر عن رأيك فيه.

أذعنت تيشا للامر الواقع حين ادركت انها لن تستطيع اقناع عمتها بالعدول عن رأيها، وفي الوقت نفسه لم يطاوعها ضميرها على السماح لبلانش بان تقود سيارتها في هذا الطقس السيء، فعلى الرغم مما تتمتع به

عمتها من استقلالية وكفاءة فهناك بضعة اشياء ترعبها ومن بينها السواقة في اثناء العواصف الرعدية وبعد حلول الظلام.

ولذا قالت تيشا بوجوم وهي تنهض من مقعدها بتردد:

ـ ما دمت قد عجزت عن اقناعك، فسأحملها اليه نيابة عنك يا بلانش.

ـ لا داعي لذلك.

فردت تيشا بإصرار:

ـ بل اظنه ضروريا. والآن، ارجعي معطفك الى الخزانة.

ـ سارافقك بالسيارة.

ـ لا حاجة لأن نخرج كلتانا في هذه العاصفة.

ثم فتحت الخزانة وأعرضت عن الجاكيت القطنية برغم تناسقها مع بنطلون الجينز اذ فضلت عليها سترتها الجلدية الواقية من المطر، واردفت وهي تسحبها من علاقة الثياب:

ـ ابقي هنا واحتفظي لي بفنجان من القهوة.

ـ أانت متأكدة من أن المهمة لا تضايقك؟

ـ انا متأكدة. اين الرزمة؟

ـ ها هي.

ناولتها اياها وقالت بتردد:

ـ تيشا، هناك طلب آخر...

ـ ما هو؟

توقفت الفتاة قبل ان تعبر المطبخ الى الباب الموصل بالمرآب فقالت بلانش:

ـ منزل رورك جدير بالمشاهدة لانه نموذج رائع للديكور الداخلي فلا بأس ان تتحملي رفقة صاحبه لبضع دقائق من اجل هذه المشاهدة.

وكي لا تتيح لتيشا مجالا للرد والجدل اضافت بحزم:

ـ انتبهي جيدا اثناء القيادة.

وفكرت تيشا، البيت يجب ان يكون خيالي السحر والجمال حتى يغريها على مشاهدته، فهي لا تريد الانفراد برورك في حالتها الذهنية الحاضرة وحيث موقفها منه ما يزال متناقض المشاعر الى حد بعيد. ولربما تتمكن من ضبط احاسيسها وتفهمها من الافضل ان تخفف من الاجتماع به قدر

المستطاع.

أرغمها هطول المطر الغزير على قيادة السيارة ببطء السلحفاة وهي تقطع مسافة ربع الميل الى بيت رورك، وكادت تمر بالمدخل المسيج بالشجر بدون ان تنتبه له لو لم تكشفه اضواء السيارة في اللحظة الأخيرة. كان المطر قد احدث انهارا صغيرة على الممر المفروش بالحصى فيما بدت اشجار الصنوبر المارجة كجدران شاهقة تطبق على السيارة.

لم تكن تعلم ان البيت يبعد عن الطريق الى هذا الحد فأحست توترا شديدا جعلها تقلص يديها على المقود، وفي الأخير ابصرت ضوءا يخترق الظلام وبدا لها كمنارة وسط عاصفة. أوقفت السيارة في فسحة صغيرة مسدودة الجانب واطفأت المحرك، وبعد شيء من الصعوبة في فتح الشمسية ترجلت من السيارة وركضت على بريكات الماء الموحلة وتحت المطر العاصف الى مدخل البيت المسقوف وقد اخفت الرزمة تحت الجاكيت لتحميها من البلل.

كبست زر الجرس بنفاد صبر، ومع صوت الرعد العنيف استحال عليها ان تسمع رنين الجرس داخل البيت، كانت الريح تقذف المطر حول ساقيها فأمسكت بالمقبض النحاسي الكبير وراحت تطرق به الباب بشدة. وما هي الا لحظات حتى فتحه رورك ووقف يسد العتبة وهو يرتدي بنطلونا بنيا وسترة صوفية فاتحة بلون الكريم.

حدق اليها من تحت الشمسية وبدا اندهاشه واضحا وهو يقول:

ـ أهذه انت يا تيشا؟ كنت احسب ان طيور البط فقط تخرج في طقس ماطر كهذا.

حاولت اخراج الرزمة من تحت الجاكيت واجابت تقلد البط ساخرة:

ـ كواك ، كواك.

فضحك رورك وقال:

ـ انك لا تحتارين أبدا في ايجاد جواب، أليس كذلك؟

ثم مد يده ليقبض على كتفها وجذبها الى ملاذ البيت وأردف:

ـ أعترف بأنك فاجأتني بهذه الزيارة اذ لم يخطر لي أنك سوف تفتقدين رفقتي الى حد يجعلك تغامرين بالخروج في ليلة رهيبة كهذه.

كان قد تسلم زمام الموقف فأخذ الشمسية منها وأسندها الى الجدار

نصف مفتوحة وحيث تكونت حالا بركة ماء صغيرة تحتها.

في هذا الوقت استطاعت تيشا ان تخرج الرزمة من ثنايا الجاكيت، فأبرزتها له وهي ترد غاضبة:

ـ ما جئت لأراك خصيصا، بل من اجل هذه التي وضعت في صندوق بلانش بطريق الخطأ. لقد حسبت عمتي انك سوف تحتاجها ولذا سارعت الى احضارها بالنيابة عنها.

باب البيت انغلق بعد دخولها وكانت تفضل ان تناوله الامانة وتهرب. . . اخذ الرزمة والقى عليها نظرة سريعة ثم ألقاها على طاولة من خشب الجوز وقال باسما:

ـ شكرا على اتيانك بها، فانا كنت انتظر وصولها ، وبلانش تذكرت هذا على الأرجح. . . والآن، دعيني أساعدك في نزع الجاكيت.

تراجعت الى الوراء حين تقدم منها، وقالت:

ـ لن ابقى، جئت فقط لاعطيك الاوراق. . . سأذهب الآن.

ـ يمكنك على الاقل ان تجلسي قرب النار ريثما تجف ثيابك، ولا اظن ان عمتك ستنشغل عليك اذا تأخرت بضع دقائق.

فكرت ببرودة:

ـ لا، اشكرك. لا داعي لتجفيف ثيابي لانها ستبتل ثانية عندما اخرج عائدة الى السيارة.

ـ لدي ابريق من الكاكاو الساخن وسيفيدك شرب فنجان منها، الا توافقين ذلك؟

ـ لا ، شكرا.

فقبض على ذراعها مجددا وقبل ان تستطيع التهرب منه وقال:

ـ اني الح على ذلك لان آداب الجيرة تقضي بألا ترفضي حسن ضيافتي مقابل مجيئك في هذه العاصفة لتسليمي الرزمة.

ـ في الواقع. . . انا. . .

ومات الاعتراض على شفتيها حين احست تيشا انها لن تربح معركة الجدال هذه. . . فأكملت قائلة:

ـ حسنا، سأشرب فنجانا ومن ثم سأذهب.

ـ فنجان واحد.

وافقها بايماءة رضى ثم اشار الى يمينها وقال:

- غرفة الاستقبال هناك وقد اشعلت النار في الموقد. يمكنك ان تجففي ثيابك قليلا ريثما تشربين الكاكاو الساخن. على فكرة، هل تحبينها مع العسل أو مع الكريما المخفوقة؟

فأجابت وهي تبتعد عنه بمجرد ان افلت ذراعها:

- مع الكريما من فضلك.

- تفضلي وادخلي، سآتيك بالشراب فورا.

اتبعت تيشا تعليماته بتردد فسارت متمهلة وعبرت الباب الذي اشار اليه. وبدون حضوره المشتت لذهنها، جولت بصرها في ما حولها وعادت تلقي نظرة خلفية على الردهة الرخامية ذات الارضية البيضاء والجدران المكسوة بالواح من خشب الجوز الفاتح. ثم غاصت قدماها في السجادة السميكة الناعمة فنظرت امامها.

كان هناك درابزين من الخشب المحفور دعاها الى هبوط ثلاث درجات والى غرفة استقبال غائرة مكسوة بسجادة زاهية من اللون الازرق الغامق. ومن الارض حتى السقف رأت ستائر بيضاء مزينة بعقد حريرية تغطي أحد الجدران بكامله فيما سائر الجدران بعض اقسامها مغطى بألواح من خشب الجوز وبعض آخر ذو لون ابيض ومحاط بأطر خشبية داكنة.

كان لهب النار الذهبي يتوهج خلف شاشة من الحديد المليف الغامق امام موقد من الحجر الابيض اللماع قائم عند منتصف جدار جانبي...

تقدمت تيشا الى وسط الغرفة وقد انسحرت على رغم منها بديكورها الغني المتكامل الانسجام. فقبالة الموقد توجد اريكة واسعة ذات غطاء مخملي ابيض وتعزز بياضه وسائد كبيرة زرقاء غامقة بلون السجادة الفارهة تحت قدميها، وعلى جانبي الموقد ومقابل الاريكة مقعدان وثيران وبجانبهما طاولتان تنعكس نار الموقد على سطحيهما اللتمعين.

لقد اخبرتها بلانش ان بيت رورك نموذج لروعة التصميم الداخلي لكن تيشا توقعت ان ترى شيئا انيقا تفاخريا وليس شيئا حيا وجذابا كهذه الغرفة التي توحي بالترف من دون ان تعرضه بشكل مكشوف وقح.

وقال رورك فجأة:

- اخلعي الجاكيت واستريحي.

فاستدارت مذعورة لتراه واقفا في أعلى الدرج. كان يحمل فنجانين، فأشار لها برأسه قائلا:

- اذا اردت ضوءا اقوى فهناك زر كهربائي على الحائط بجانب الموقد.

وهنا لاحظت لاول مرة الانارة غير المباشرة في السقف والموحية بجو حميم أشعرها بحاجة الى التخلص منه. فسارت الى حيث الزر بلا مبالاة مصطنعة وكبست عليه فشع نور اقوى.

ثم علقت بصوت مشدود:

- الغرفة رائعة جدا.

فتقبل مديحها شاكرا وأمال رأسه قليلا ولكن تيشا لم تجد في هذه الحركة ما يدل على الغطرسة، وقال:

- يمكنك ازاحة المقعد في اتجاه النار اذا شئت.

فأكدت له بعصبية انها لا تجد داعيا لذلك، ثم نزعت سترتها الجلدية وجلست على حافة احد المقعدين القلمين بخطوط زرقاء. ولما طوت سترتها لتلقيها على حضنها قال رورك وهو يضع فنجان الكاكاو على الطاولة الى جانبها:

- دعيني اعلقها عنك.

ناولته اياها بتردد لانها كانت مبللة ومن المنطقي ان توضع في مكان ما لتجف من دون ان تمتد رطوبتها الى شيء آخر. وراقبت رورك وهو يحملها ويصعد الدرجات الثلاث ثم يختفي في الردهة... رجع بعد لحظات وبدا حضوره مكملا للغرفة ومضيفا اليها ما تفتقده من حيوية، وعندما القى جسمه المشوق على الاريكة حملت تيشا فنجانها وركزت بصرها على الكريما العائمة على سطح الشراب لتتحاشى التقاء عيونهما.

امتد الصمت بينهما وتنامى فابتلعت ريقها بعصبية، وزادت طقطقة النار حدة التوتر حتى شعرت بضرورة ملحة لان تتكلم عن اي شيء فقالت:

- اخبرتني بلانش ان بيتك جميل لكني ما توقعت شيئا كهذا.

- وما الذي تخيلته؟

فرمقته بنظرة سريعة وهي تحاول قراءة التعبير المبطن في عينيه الداكنتين فبدا مسترخيا تماما الا انها استشفت فيه بعض التوتر.

فأجابته وهي تتبنى موقفا لا مباليا قدر المستطاع:

- ظننت انه سيكون... اكثر بهرجة.
- هل توقعت زوزقة رخيصة؟
- لا ادري بالضبط، فأنا ما فكرت في الامر كثيرا.

اظهرت استخفافا غير انها شعرت بفورة غضب انتقامية لكونه يحاول زجها في موقف دفاعي، فتابعت لتغيظه:

- لو اني فكرت فيه جيدا لتوقعت ربما وجود اريكة تتحول بكبسة زر الى سرير، وبكبسة اخرى، تخفت الاضواء وتنبعث الموسيقى الهادئة لتملأ الغرفة.
- تصميم متكامل لمشهد اغرائي، اهذا ما تقصدين؟
- شيء مشابه لذلك.

ثم طوحت يدها في الهواء بحركة تعبيرية واضافت تقول:

- لكن هذا التصميم اكثر تهذيبا وبراعة مع انه بالتأكيد يحقق الغاية ذاتها.
- وانا دائما اعتبر هذا المكان موطني الصغير، اليس ذلك غريبا؟

تعليقه الرقيق هذا جعل تيشا تقلص اصابعها على مسكة الفنجان وهي تقربه من فمها... لقد سمعت التأنيب المتستر بكلماته وادركت انه جزاء عادل على اهانتها له... حرق الشراب الساخن حلقها وهي تحاول شرب الفنجان حتى آخر نقطة كي تنصرف بسرعة. ثم اجفلت حين نهض رورك واقفا بخفة النمر، وامرها قائلا:

- تعالي، اريد ان اريك سائر غرف بيتي.

فأعادت الفنجان الى صحنه ونهضت بدورها وقالت على عجل:

- لنترك ذلك الى فرصة اخرى.

فسد رورك طريقها بقامته الفارعة وتأكدت تيشا انه لن يتوانى عن استعمال القوة ليمنع انصرافها، واجابها بحزم:

- كلا، اريدك ان تأخذي عنه انطباعا كاملا.

انتابها غضب لكنها تنفست بعمق وقالت:

- ليكن ذلك.
- تفضلي.

ومد يده يشير اليها بالسير امامه الى الممر المضاء بخفوت والمتفرع من غرفة الاستقبال.

انصاعت تيشا لامره فمشت امامه مشدودة القامة انما بجمود وامتعاض. وفي منتصف الممر تقريبا وقفا بين بابين مقابلين لبعضهما بعضا، ففتح رورك الباب الاول الى يمينها واضاء النور ليظهر حماما ازرق واخضر، ثم فتح الباب الآخر واضاء الغرفة وقال شارحا وهو يشير الى تيشا بالدخول:

- هذه كان من المفروض ان تكون غرفة نوم اضافية لكني استعملها كمكتب وغرفة لرسم الخرائط.

دخلت تيشا فرأت قرب الباب فجوة في الحائط تحوي خزانتين صغيرة على الجانبين، ثم ثلاث درجات تؤدي الى غرفة مكسوة الجدران بالخشب، احدها كان مغطى برفوف مليئة وامامها مكتب ومقعد جلدي. وفي احدى الزوايا طاولة عريضة للرسم وكرسي، فيما سائر الاثاث عبارة عن اريكة جلدية ذات لون برتقالي داكن ومقعد مماثل للاستلقاء. اما الستائر فمن اللون البرتقالي نفسه والموجودة ايضا في السجادة الزرقاء وبشكل مربعات جريئة اكملت جو الغرفة الرجولي المهني.

لم ينتظر رورك اي تعليق من تيشا بل قادها خارج الغرفة الى باب يقع في آخر الممر. وحين فتحه وكبس زر الكهرباء امتنع عن اي شرح، وسرعان ما ادركت تيشا السبب لدى تخطيها العتبة، اذ كانت هذه غرفة النوم الكبرى، غرفة نوم رورك.

ارضها مكسوة بالسجاد الازرق السميك ذاته انما الدرجات القليلة هنا تهبط الى غرفة يحتلها سرير واسع مغطى بدثار ذي حبكة قديمة الطراز باللون الذهبي البراق... جف حلق تيشا حين تسمر بصرها الى اتساع السرير الداعي الى الحميمية ومن دون ان تنتبه كثيرا لقطع الاثاث الاخرى والمصنوعة كما السرير من خشب الجوز... احست بوجود رورك قربها بشيء من الالم وقالت باقتضاب وهي تستدير على عقبيها لتهرب:

- انها حسنة جدا.

ولم تخفف من سرعة خطواتها الا حين التجأت الى امان غرفة الاستقبال النسبي وحيث رمقت رورك من خلف كتفها وكرهته لدى رؤيتها للسخرية المتراقصة في عينيه... فأعلنت بحزم:

- من الافضل ان انصرف الآن.

- فقال وهو يخفي ابتسامة ماكرة:
- أتري المطبخ بعد... جميع النساء يبدين اهتمامهن بالمطابخ، اليس كذلك؟
- أري اياه اذن.

فسارا على ارضية البهو الرخامية الناصعة ومنه الى مطبخ عصري فسيح ومتكامل الاجهزة والاثاث. كانت لمعة اللون الازرق المنثورة في ارجاء البيت موجودة هنا في ورق الجدران ذي الارضية العاجية والمزين بباقات من الزهور الزرقاء والصفراء الصغيرة... واحست تيشا على رغم منها بانجذاب الى روحية المطبخ الاليفة وراح هذا الاحساس يتغلغل فيها لكنها رفضت ان تدعه يتغلب عليها فقالت:
- اكرر القول ان لديك بيتاً رائعاً.

كان صوتها المجامل كريح فاترة وقد تقصدت هذا لتظهر عدم اكتراثها. واجابها زورك بعدم الحماسة ذاتها:
- يسرني جداً اعجابك به.

ثم سار امامها عائداً الى بهو المدخل حيث اخرج سترتها من الخزانة وقال:
- ارجو ان تشكري بلاتش عني فأنا كنت بحاجة فعلية الى هذه الاوراق.
- افعل ذلك.

ارتدت الجاكيت وانحنت تأخذ الشمسية القابعة في الزاوية. ثم رفعت راسها لتواجه نظرته الفاترة المدروسة وأردفت:
- واشكرك على هذه الجولة الشاملة.

ففتح لها الباب وكأنه يسارع الى التخلص منها، وقال ساخراً:
- لقد سرني التجوال معك.

التمع البرق واضاء الظلام حين خرجت تيشا مهرولة وهي اكثر لهفة منه الى الابتعاد عنه.

٦ - درس في الضيافة!

كانت بريكات المياه اكثر اتساعاً وعمقاً، والمطر ما يزال ينهمر بغزارة. اما العاصفة فقد ازدادت حدة وتيشا تغوص في المياه المتدفقة في طريقها الى حيث اوقفت السيارة. وحين فتحت بابها ولاذت بداخلها، انتبهت الى ان الضوئين الاماميين كانا ينيران السيول امامها. تأوهت بصوت عال والقت الشمسية على ارض السيارة ثم أدارت المفتاح في المحرك... لم تسمع شيئاً سوى طقطقة المفتاح وهي تكرر المحاولة عبثاً. لقد فرغت البطارية، وهذا يعني انها مضطرة للعودة الى زورك لتطلب منه المساعدة، وهذه الفكرة لا تحبذها على الاطلاق.

احتمت بالشمسية مجدداً وعادت تقطع المسافة الموحلة الى بيته وحيث راحت تطرق الباب السنديان بالمقبض النحاسي، وهذه المرة لم تنتظر في البرد طويلاً حتى اجابها زورك على طرقاتها.

واعلنت حالما فتح الباب ووقف على عتبته متسائلاً:
- تركت الاضواء مشتعلة ففرغت شحنة البطارية. هل لك ان تساعدني في ادارة محركها؟

فحدق اليها للحظة قصيرة وقال:
- سأخرج سيارتي من المرآب.

فأومأت موافقة وهمت بالعودة لكن زورك ناداها هاتفاً:
- انتظري، من السخف ان نعرّض نفسينا للغرق من اجل محاولة قد تفشل في النهاية. سأوصلك الى البيت بسيارتي وغداً صباحاً اعيد لك سيارتك بعد شحن البطارية.

فبدأت تيشا تعارضه لكنها عدلت عن ذلك واعطته اشارة بالقبول. ثم قالت لتحاشي سماع الاقتراح الذي رأته يرتسم على شفتيه:
- لقد تبللت فردتا حذائي وسألاقيك عند باب المرآب.

وصلت بوابة المرآب المزدوجة في اللحظة التي كان روورك قد بدأ يرفع دفتيها من الداخل، وفي بضع خطوات كانت تطوي شمسيتها وتصعد سيارته البيضاء ثم تجلس على المقعد الامامي الى جواره. شعرت بالحرج من ابتلالها ومن وجودها معه فتقبضت في الزاوية فيما قاد هو السيارة الى الوراء خارجا بها من المرآب وانعطف على الدرب نزولا... التمع البرق في الفضاء وتبعه رعد قاصف تردد صداه في عدة اتجاهات.

فركزت تيشا بصرها على كمّ سترته الجلدي وتمتمت تسأله:
- والآن، أليست لديك أية تعليقات حول قيادة النساء للسيارات؟
- ليس ثمة حاجة للتعليق فانت لم تتركي الاضواء عمدا وكانت غلطة عفوية.
- لكنها غلطة غبية.

شعرت نحوه بكره لكونه اختصر الموضوع بتسامح ورحابة صدر.
وتابع يقول:
- كلنا نقترف اخطاء كهذه وهذا ما يجعلنا بشرا وغير معصومين عن الخطأ.
وما كاد ينهي عبارته حتى هتف بصوت مبهم:
- اللعنة!

فاستقامت تيشا في جلستها وقد اخذت استعداداتها لخوض معركة بسبب الشتيمة التي حسبته قد وجهها اليها. ثم احست بفعل المكابح القوي على الارض فنظرت عبر الزجاج الامامي لتستطلع الدافع الى توقفها الفجائي، ومن خلال المطر المنهمر استطاعت ان ترى سبب هتافه الحانق والمتمثل في شجرة صنوبر كبيرة، قد سقطت ارضا في عرض الطريق وجرفت معها شجرتين صغيرتين.

شخصت الى ذلك الحاجز المخيف الذي يسد الطريق وسألت هامسة:
- هل تقدر ان تزيح هذه الاشجار؟
فاجابها بسؤال من عنده وبصوت مرافق شبيه بضحكة:
- هل انت جادة في ما تقولين؟ هل ابدو لك كالرجل الخارق القوي؟

- قد نستطيع ان نزحزحها معا.
- ذلك من رابع المستحيل!

ثم ارجع السيارة الى فسحة اكبر على جانب الطريق وادار مقدمتها في الاتجاه المعاكس فسألته ملهوفة:
- الى اين تتوجه؟
فرد بنبرات حادة مشذبة لسعتها كرياح باردة:
- سأعود الى البيت ولا مناص لك من قضاء الليلة هناك.
- لن افعل شيئا كهذا!
- لكن الطريق مسدودة وليس لدينا اي خيار آخر.
واذ ذاك لاحت لها اضواء البيت فاعلنت تيشا قائلة:
- اجل، لدينا خيار آخر.
فسألها متلذذا بعصبيتها:
- وما هو الاقتراح العبقري الذي سيتفتق عنه ذهنك هذه المرة؟

اتجه بالسيارة الى المرآب واطفأ المحرك ثم استدار ينظر لها في انتظار جوابها فصرخت وهي تفتح الباب:
- سأعود الى البيت سيرا على قدمي.

فمد ذراعه ليعتقلها إلا انها هبطت من السيارة بسرعة وخرجت من المرآب مهرولة تلقي بنفسها في احضان العاصفة وهي تحاول طوال الوقت ان تفتح الشمسية التي استعصى عليها فتحها... وحين تناهى اليها صوت انصفاق بابه جعلها ذلك تهرول اكثر وبدون ان تأبه للمطر الذي بدأ يبلل شعرها وثيابها.

لاحقتها خطواته الغائصة في الارض الموحلة وهتف لها ملحا:
- تيشا، تيشا، عودي الى هنا.
- سأذهب الى بيتي!

وفجأة انتزع روورك الشمسية من بين يديها وامسك بكتفيها مرغما اياها على مواجهته، وهي تناضل وتحاول عبثا الافلات من قبضته. ثم هزها من كتفيها بشراسة وهتف:
- لن اسمح لك بالعودة مشيا الى البيت... لا تقدمي على حماقة كهذه!
- لا! لن أرضى بالمكوث معك في ذلك البيت!

كان المطر ينسكب على وجهيهما معا ويسمر اهدابها ويسيل نزولا على عنقيهما، وهتف رورك وقد ثارت اعصابه الى حد الجنون:

- اللعنة يا تيشا! أنا لم اضع تلك الشجرة في عرض الطريق! انك تتصرفين وكأني دبرت العملية عن سابق اصرار وتصميم!

- المسافة ليست بعيدة الى بيت بلانش وقد مشيت في الماضي مسافات ابعد منها.

- ماذا سيحدث ان سقطت شجرة على رأسك، أو ضربتك صاعقة؟

- اي شيء يحدث لي سيكون افضل من... من... اواه، انا اكرهك!

لو لم تكن مدفوعة بعصبيتها العمياء لاستطاعت تيشا ان ترى الغضب المتزايد في وجه رورك وان تلحظ التقلص الذي استبد بعضلات حنكه بدل ان ترى فقط ازدياد سواد شعره والتماعه المبلل تحت المطر.

وبقسوة وحشية جذبها نحوه والصقها بسترته الجلدية، كانت ذراعاها مسمرتين الى صدره بقوة يديه الملتفتين حول ظهرها فيما ضربات قلبها تحاول مجاراة ايقاع المطر المتساقط تباعا.

- ايتها البلهاء الصغيرة المجنونة! هل انا في الحقيقة، اكثر خطرا عليك من خطر العاصفة؟ هل تخافينني الى هذا الحد؟

- رورك، ارجوك، دعني امضي في سبيلي.

كان استرحاما واهيا كاد يضيع في تلاحق البرق والرعد، وما استطاعت تيشا ان تميز الفارق بين الرعد المدوي وبين خفقات قلبها المسكين.

شعرها الاحمر الداكن كان وشاحا مائيا يحتضن خديها وهي تحرك رأسها لتتنفس اسمة ثانية وتحدق الى الاحتراق الاسود في عينيه... واحست بيدا تلمس خدها كريشة ناعمة وتزيح الخصلات المبللة التي عبث بها الهواء الصافر، قبل ان تلتف اصابع رورك حول عنقها وتجذب رأسها الى فوق.

وتقبلت قبلته العنيف هذا، ومااحست بالألم. ثم اطلقت آهة عذاب لتمت اسمه بحرقة وهي تدير وجهها.

لكن حركة خضوعها التام هذا، رفضها رورك بوحشية فجائية اذ نفضها بعيدا عنه عما أصابها بذهول... فأحست بسكين فولاذية باردة تغمد في قلبها، وبدت لنفسها غبية وحقيرة فمزقت الشهقات صدرها وهي تستدير كالريح لتهرب...

لكن يده الفولاذية اوقفتها مجددا وقال بغضب مكتوم:

- لن اسمح لك بالذهاب!

فهتفت وصوتها يشق ظلمة الليل كصرخة حيوان جريح:

- بعد... بعد ما جرى، أتتوقع مني ان أبقى؟

- انا لا اتوقع شيئا. وأنت لن تذهبي!

صرخت وهي تنزع اصابعه القابضة على رسغها بيدها الطليقة:

- اني افضل الموت على وجودي معك!

فعاد يعتقل يدها بسهولة واجاب:

- لقد اوضحت هذه النقطة من قبل، وايضاحك الآن لا يقل سخافة عن المرة السابقة. انك مغمسة بالماء، فهيا تدخل البيت قبل ان تصابي بالتهاب رئوي.

- كلا!

وهذه المرة قاومته كقطة صغيرة برية اذ راحت تركله وتضرب رأسه بذراعيها حتى تمكن من اعتقالها بقبضة شرسة، وفيما هي تركل ساقيه حاولت ان تنشب اسنانها في يده، وفي الاخير اطلق رسغيها واحاط خصرها بيديه ثم حملها تحت ذراعه الى البيت كمن يحمل كيسا من البطاطا... واستمرت ترشقه باهاناتها تباعا فلم يأبه لها او لمقاومتها المتواصلة، ولم ينزلها على الارض الا حين دخل بها الى البهو واغلق الباب خلفهما بقدمه.

وحين واجهته كانت عيناها تطلقان شرارات خضراء داكنة وقبضتاها تنقبضان على جنبيها... وقوفه بينها وبين الباب كعمود ضخم جعل هروبها مستحيلا، وما عدا قطرات الماء المتساقطة من ثيابه الى الارض فقد بدا هادئا مهندما وكأنه دخل لتوه آتيا من المطبخ وليس من عاصفة ومعركة عنيفتين، فيما كانت هي تلهث من جراء الجهود المضنية التي بذلتها للتخلص منه.

- يا حيوان!

- وفّري اهاناتك... واعطني سترتك.

تحدقت اليه تيشا بتحد مما اضطره الى التقدم منها خطوة في حركة تهديدية فترددت للحظة ثم سارعت الى نزع سترتها بغضب وكانت تلتصق

بظهرها لشدة البلل وقذفتها عليه. وبدا قميصها الزيتي المحاك كجلد ثان يلتصق بجسمها. وأمرها رورك قائلا:

- هيا، الى المطبخ!

فاستدارت على عقبيها بحدة ومشت غاضبة الى المطبخ وهي تعلم انه يسير على بعد خطوة وراءها. توقفت عند الطاولة وتمسكت بظهر الكرسي وراقبته وهو يسير الى الخزانة ويخرج منها زجاجة شراب وكوبين. ثم نظرت بطرف عينها للباب المؤدي الى المرآب والواقع الى يسارها وبدأت تتسلل نحوه بحذر وصمت.

وقال لها فجأة وبدون ان يدير ظهره:

- لا تحاولي ذلك!

وحين استدار وواجهها سألته وفي نظرتها براءة متحدية:

- احاول ماذا؟

اجابها بابتسامة فاترة وساخرة:

- لن تستطيعي الوصول الى باب المرآب ولا تقولي انك لم تكوني تخططين للهرب بهذه الطريقة فكلانا يعلم انك كنت عازمة على ذلك.

ثم سكب شيئا من الشراب في كل من الكوبين وشرب حصته في جرعة واحدة قبل ان يحمل الكوب الآخر ويتقدم منها قائلا:

- اشربي هذا.

قربه رورك من يدها فهوت عليه بكفها ورأت السائل يقفز منه وينسكب على البلاط، فتقلصت عضلات فكه بغضب ثائر وغمغم مهددا:

- انت بحاجة الى من يضربك ليعلمك حسن السلوك.

- هل دائما تعامل نساءك بهذه الوحشية؟

- وهل تودين ان تجربي؟

لم يكن يمازحها فتهديده بدا واضحاً في نبرة صوته الجدية مما جعلها تشحب ومع ذلك سمرت نظرتها الجريئة في عينيه وقالت وهي تشمخ برأسها متحدية:

- اذا اقتربت مني خطوة واحدة سأقتلع عينيك من وجهك.

اطربته محاولتها التهديدية الهزيلة فضحك متلذذاً، واكتفى بامالة رأسه الاشقر بغرور طاووسي.

- ما بك؟ الا تظنني قادرة على تنفيذ كلامي؟

فسار الى حيث الطاولة المستطيلة وقال معترفاً:

- لا احسبك عاجزة عن المحاولة، ولكن لا تقلقي. فالشيء الوحيد الذي يشغل بالي هو تبديل ثيابي المبللة.

- لا تدع وجودي يؤخرك عن ذلك.

فقال وعيناه تحومان عليها باسترخاء تام:

- ما نويت التأخر بسببك، تعالي، فأنت ستأتين معي.

- الى اين؟

فرد بوجوم:

- الى غرفة نومي وحيث توجد ثيابي. انت بحاجة ايضاً الى تبديل ملابسك الرطبة.

فأجابت بنبرة لاذعة:

- ابدلها بماذا؟ بأغطية سريرك؟.

لاحظ بريق الخوف الذي بدا فجأة في عينيها فأجابها ملطفاً شعورها هذا:

- ذلك هو المكان المناسب الذي يجب ان تلجأ اليه جميع الفتيات الصغيرات في اثناء الليل.

- وانا ارفض الذهاب!

- اتريدين ان احملك اليه بالقوة؟

فضج التوتر حولها وضغط عليها من كل جانب حتى احست بانها ستنشطر الى نصفين من شدة الضغط. وفيما الكراهية تتسرب الى رأسها وتشل ذهنها تدريجاً اخذ قلبها يقفز بين جنبيها فهتفت بلا وعي:

- اريدك ان تكف عن معاملتي بهذه الوحشية وعن اصدار الأوامر الي في كل لحظة ودقيقة! باختصار، اريدك ان تتركني وشأني!

فرد رورك وصوته يدوي كالرعد:

- كفي عن التصرف كأنثى مظلومة ثائرة وتقبلي حقيقة اضطرارك الى قضاء ليلتك هنا، سواء شئت ذلك ام ابيت!

وفاجأها بحركة ذراعه السريعة التي امتدت لتسحبها بعيداً عن الكرسي الذي لجأت الى الوقوف خلفه لتضع حاجزاً ملموساً بينها وبينه. وقبل ان

تستطيع التخلص من قبضته الحديدية على ذراعها وجدته يدفعها امامه عبر باب المطبخ وعبر الردهة والى غرفة الاستقبال. ولم يزح يديه عن كتفيها وهو يتابع دفعها في اتجاه الممر حتى وصلا الباب. وحين رفضت فتحه بنفسها واضطر الى مد احدى ذراعيه ليفتحه، حاولت الهرب من تحت ذلك القوس لكنه امسكها من خصرها والقى بها داخل الغرفة.

هبطت الدرجات الثلاث متعثرة واستدارت تواجهه كحيوان متربص، ثم عادت القهقرى بخطوات سريعة وهو ينزل الدرجات.

اخذ ينزع سترته الصوفية وقميصه ثم فتح خزانة جرارة في الحائط وقال بصوت كسول:

- يمكنك الوصول الى الحمام عبر الباب الذي تقفين امامه. ان اخذ دوش ساخن كفيل بازالة الرطوبة من عظامك.

- وماذا ستفعل انت.

فنظر اليها من خلف كتفه، واتسم وجهه بتهكم فاتر وهو يجيب:

- سأفعل الشيء نفسه، غير اني سأستعمل الحمام الاضافي.

استدار اليها فتماوجت العضلات القوية في صدره العريض . . . وكان يحمل على احد ذراعيه بنطولناً جافاً . . . تمشت في عروقها رجفة مفاجئة حين اقترب منها لكنه تجاهلها للمرة الثانية ومر بها صامتاً الى خزانة عالية ذات ادراج عديدة، وقال:

- هناك مناشف نظيفة معلقة داخل الحمام. ليس لدي قبعات واقية خاصة بالسيدات لكن شعرك قد ابتل في اي حال ولا احسبك ستحتاجين الى قبعة لحمايته من ماء الدوش.

ثم اخرج من احد الادراج بيجاما حريرية بلون التوت البري وقال لها وهو يلقيها بخشونة بين يديها:

- خذي هذه، انها كبيرة بالنسبة الى حجمك لكنها جافة على الاقل.

فقالت وهي تحاول اعادتها اليه:

- البسها انت.

فابتسم بوجوم واجابها:

- سأقول لك شيئاً وبدون ان اقصد القاء الرعب في قلبك يا حمراء، انا لا ارتدي بيجاما في السرير! والآن اذهبي الى الحمام لاخذ الدوش.

تورد وجهها حتى منابت شعرها وهتفت:

- لا اريد ان استحم. . . لا اريد ثيابك وليست لدي اية نية في استعمال السرير!

توقف رورك واستدار نحوها وقد انعكس نفاد صبره في خطوط وجهه المتجهمة وقال:

- لنوضح بعض الاشياء دونما حاجة الى جدالك السخيف، سوف تستحمين ولو اضطررت الى نزع ثيابك بنفسي وجرك الى الحمام بالقوة. . . اما البيجاما فعليك بارتدائها الا اذا كنت تفضلين التجول بشقة حام هي ابعد ما تكون عن الاحتشام الذي ترغبين فيه، واخيراً ستأوين الى السرير وليس الى مكان اخر، وهكذا لا اريد سماع اي اعتراض.

وبهذا المرسوم المرعد الذي تردد صداه في جنبات الغرفة، سار الى خزانة اصغر واخرج منها وسادة وبعض الحرامات.

فسألته مرتجفة:

- ماذا ستفعل؟

فرد باختصار وهو يسبل عينيه ليخفي بريقاً ماكراً شب اليها:

- بما اني سأنام على الاريكة، فقد خطر لي اني قد احتاج الى بعض الاغطية. . . ام تراك كنت ستعرضين علي مشاركتك الفراش؟

فهتفت بكل ما فيها من حنق:

- انت تثير القرف!

- احقاً؟

- انت مغرور وتثير الاحتقار!

- اهذا كل شيء؟ لا بأس، لا تقولي شيئاً اخر اذهبي الآن واستحمي قبل ان تصابي برشح.

وصرخت فيه وهو يصعد الدرجات بخطاه الرشيقة وفي اتجاه الممر:

- ليتك تصاب بالتهاب رئوي يقضي عليك!

لكن الباب انصفق بشكل نهائي مما اعطى تيشا انطباعاً بان رورك كان مسروراً بالتخلص من رؤيتها فوقفت للحظة بلا حراك وسط صمت الغرفة الذي اطبق عليها وسد اذنيها عن جمير الرعد خارج النافذة.

انتابتها رجفة برد وتفشت في اوصالها حين اخذت رطوبة ثيابها تتسلل الى عظامها، واضطرت الى الاعتراف، ولو بتردد، بان رشات الدوش الساخنة ستزيل منها البرودة وتنعشها.

دخلت حمامه الخاص المصمم باللونين الازرق والذهبي وهي ما تزال قابضة على البيجاما، واقفلت الباب خلفها. ثم وقفت لعدة دقائق تعرض جسمها لنافورة الماء لتسل منه كل ترسبات الغضب المرير الذي وتر اعصابها الى حد الانهيار. ولما خرجت اخيراً من تحت الدوش وجففت نفسها تماماً سيطر عليها خجل وشفقة على النفس من جراء تجاوبها العاطفي الحار مع عناق رورك والذي كان في الواقع خلافاً لعقابه لها.

راحت تعلق ثيابها المبتلة بحركات آلية وتقاوم خواء مؤلماً في داخلها وهي تحمد حسن حظها لان رورك رفض تقربانها في اللحظة الأخيرة فلم تتعرض لعذاب اذلال اعظم... وفكرت في مرارة، لو ان احداً حاول اقناعها بامكانية شعورها هكذا، لكانت اتهمته بالكذب والمبالغة، ولكن تصرفاتها بحد ذاتها اثبتت خطأ تفكيرها السابق، ومهما حاولت ان تتنصل من المسؤولية فلا يمكنها ان تلوم رورك وحده على التعاسة التي تغرقها في امواج الحزن والشفقة على الذات.

وهنا، مسحت بعزم قطرات الدموع المترجحة على رؤوس اهدابها، ولفت شعرها الطويل بمنشفة ناعمة عقصتها حول رأسها ثم تناولت قميص البيجاما وارتدته.

عادت الى غرفة النوم وسارت الى السرير الذهبي الغطاء. كان اتساعه الهائل يغري بالاستلقاء فيه لكنها انطرحت على الغطاء واخذت تبكي بحرقة لتخرج من صدرها كل تلك التعاسة التي تغرق نفسها. ثم بدلاً من ان تنام، اختارت بقعة قرب حافة السرير حيث جلست عليها القرفصاء وظهرها الى الباب... فكت المنشفة المعقوصة على رأسها وشرعت تجفف بها شعرها الطويل بحركات عنيفة متتابعة.

سمعت طرقاً على الباب ثم صوت رورك ينادي قائلاً:

- هل انت محتشمة لأدخل؟

- ماذا تريد؟

لكن الباب انفتح ودخل رورك بدون ان يجيب على سؤالها. كان يرتدي

فقط بنطلوناً حنطياً بدل البنطلون البني الذي ارتداه سابقاً، وهذا اللون الفاتح كان يعزز سمرة صدره الغامقة التي اكتسبها من اشعة الشمس. راقبته تبشا من وراء كتفها وهو يتقدم. كان تعبير وجهه غامضاً وقال:

- جئتك بشيء من شراب الكاكاو ليساعدك على الاسترخاء كي تستطيعي النوم لبضع ساعات.

- كم انت لطيف وتفكر في راحة ضيوفك!

- ستأتي فرقة اصلاحات في الصباح لترفع الاشجار عن الطريق، وقد خابرت بلانش لاعلمها باستضافتي لك هذه الليلة.

لقد انشغلت بالحزن على نفسها والى حد انساها تماماً ان عمتها قد تكون قلقة على غيابها الطويل، وهكذا اضطرت الى شكره انما بتردد. فسألها:

- اتريدين الكاكاو ام اعيده الى المطبخ؟

لم تكن تنظر اليه لكنها شعرت انه لم يتحرك من مكانه وبامكانها بمنتهى البساطة ان تسير اليه وتتناول الفنجان منه انما لم تشأ ان تواجه تلك النظرة اللامبالية في عينيه الجليديتين. فقالت:

- بامكانك ان تضعه على منضدة السرير. سأشربه في ما بعد.

وظلت مشيحة رأسها وهي تسمع وقع خطاه على الدرجات، ومن خلال ستار شعرها الطويل رأته يمر بها متجاهلاً اياها، وحين استدار راجعاً، سألته:

- اني بحاجة الى مشط لتسريح شعري فهل لديك واحد؟

- قد تجدين مشطاً في خزانة الأدوية.

فردت باختصار:

- شكراً.

استدارت كما المروحة ومشت بعزم الى الحمام صافقة الباب خلفها. وهناك تناولت بنطلون البيجاما من على الرف، وبعد جهد جهيد استطاعت ان تلف خصره حول صدرها فيما بقيت قدماها تمسان السجادة الوثيرة من خلال طيات القماش. ثم زحفت الى الباب وفتحته بعنف، وقالت وهي توزع نظرها بين رورك وبين طيات البنطلون الحريرية الملتفة حول قدميها:

- اترى الآن منظري كيف هو؟

- اطوي حافتيه من تحت.

فتقوس فمها الجميل بابتسامة متهكمة وهي تجيب:
- لكن كيف احل مشكلة خصره العريض، ومقاسك ليس بالضبط كمقاسي الصغير؟
- اطوي رجليه.
فقلدته غاضبة:
- اطوي رجليه. . . انت يابس الرأس ولا يقنعك شيء على الاطلاق! اي ضير هناك في ارتدائي القميص فقط طالما هذا المنحوس يصل الى ركبتي تقريباً؟ اين عدم الاحتشام في ذلك؟
تملكها الغضب فسارت خطوتين في اتجاهه، وفي الخطوة الثالثة تشابكت الطيات حول قدميها، فاحست بانها ستهوي وبسطت ذراعيها امامها لتخفف وقع السقطة لكن يديها التفتا بذراعي زورك وصدره اذ سارع الى حمايتها من الوقوع. اختل توازنهما فهويا الى الارض معاً لكن جسم زورك تلقاها كوسادة حين سقطت هي فوقه.
ازاحها عنه بلطف الى السجادة وسألها باهتمام:
- هل يؤلمك شيء؟
أجابت شاهقة وقد ارعبتها للحظة صدمة السقوط:
- لا.
ثم اردفت بعد زوال الصدمة:
- وانت لا تشكر على ذلك.
فسأل مغمغماً:
- هل كان من المفروض ان ادعك تسقطين ليدق رأسك بالارض؟
فاجابت بحنق:
- ما كان يجب ان ارتدي ذلك البنطلون السخيف.
فاعلن زورك غاضباً وهو يبسط كفه على الارض ليستطيع النهوض بتوازن:
- لا سبيل الآن لاصلاح ذلك بعدما حصل. . . تيشا!
فاجابت بيأس وصوتها يكاد يتهاوى:
- اوه، اذهب عني واتركني وشأني.
فوضع كفه تحت ذقنها وارغمها على الالتفات اليه كي ترى نار الغضب

الملتهبة في حدقتيه. . . فسألته بصوت ابح:
- ألم تشبع بعد من اذلالي؟
فقال مغمغماً:
- ايتها الساحرة الصغيرة الخضراء العينين!
كان يركز بصره على انفراج شفتيها المرتجفتين فهتفت مرتعبة:
- لا!
وفي اللحظة نفسها رفعت يديها لتبعده عنها.
ولكن ما ان لمست اصابعها صلابة صدره حتى تناغمت اعصابها مع كل عضلة متماوجة في جسمه حين استجابت لضغطه المتحركة. كان عناقه هذا عملية اغراء لحواسها جعلتها تنسى تماماً كل ما يحيط بها.
وبحركة سريعة رشيقة نهض زورك واقفاً على قدميه ورفعها من يديها حتى اوقفها الى جانبه، نظرت اليه من بين اهدابها الطويلة بحذر اذ خشيت رفضه البارد كما في المرة السابقة لكنها وجدت عينيه تستعران بالنار اياها بل وتهدد بالاندلاع من جديد.
وسألها:
- هل لديك فكرة عن مدى المشاعر التي تثيرينها في الرجل؟
كانت اصابعه تطبق على كتفيها وهو لا يدعها تفلت منه وفي الوقت نفسه يترك بينهما مسافة آمنة.
وفي غمرة ارتجافها من جراء الامواج العنيفة التي احدثها فيها لم تستطع الا ان تنظر اليه بصمت متخدر، فيما بدت انها تشعر بشكل ما بالجهد الذي يبذله لضبط عواطفه.
وقال بعذوبة:
- اشربي الكاكاو واذهبي الى السرير.
ثم مس خدها باصبعه وسار بحزم في اتجاه الباب. توقف على منتصف الدرج واستدار اليها قائلاً:
- عندما اخرج، ضعي الكرسي تحت مقبض الباب لأنه بدون قفل.
فهمست:
- اني اثق بك.
- شكراً، لكني لا اثق بنفسي في الوقت الحاضر لذا افعلي ما اقول.

فقالت بخضوع ادهشها:

- سأفعل ذلك يا رورك.

نظر اليها بحنان.

- تصبح على خير.

- وانت من اهله يا تيشا.

- ارجو ان تنام براحة وهدوء.

فابتسم بتكاسل واجابها وهو يفتح الباب:

- ارجح اني سافقد عقلي بهدوء... لا تنسي تثبيت الباب بالكرسي.

- لن انسى.

لكنها نسيت، وربما لانها ادركت ان ذلك لن يكون ضرورياً!

٧ - زواج مدبّر

تقلبت تيشا على بطنها ودفنت رأسها في نعومة الوسادة وهي تقاوم نداء وعيها الداعي الى الاستيقاظ. كان يلفها شعور دافىء، والملبد بالقناعة والهناء فلم تشأ ان تحرم نفسها من التنعم به وقتاً اطول. وفي الأخير انفتح جفناها تلقائياً وركزت عينيها الخضراوين على القماش الحريري التولي الذي يغطي ذراعيها تسللت من تحت الاغطية بشيء من التردد ومشت الى الحمام حافية القدمين. وجدت ثياب الأمس المبللة قد جفت تماماً فارتدتها على عجل. اما شعرها الذي تشعث في اثناء النوم فقد امضت عدة دقائق في تسريحه، غمغمت لحناً طروباً وهي تخرج من غرفة النوم واصاخت السمع وهي تتجول باحثة عن مكان رورك. واخيراً رأت ضوءاً ينبعث من باب غرفة مكتبه المفتوح فتمهلت في سيرها لدى اقترابها منه. وحين القت نظرة الى داخل الغرفة رأت رورك منحنياً على طاولة الرسم محتضناً رأسه بين ذراعيه وقد طرح على كتفيه حراماً من الصوف، ومات اللحن في حلقها لما حملتها قدماها الى داخل الغرفة.

احست رغبة جامحة في الاقتراب منه لتزيح خصلة شعر ذهبية شردت على جبينه الساكن... بدا في نومه اقل ارهاباً واكثر جاذبية ان صح هذا التعبير. وفيما هي تتمسك بحافة الدرابزين لتصعد الدرجات القليلة رأته يحرك رأسه... لقد كتمت السجادة الوثيرة صوت خطواتها ولا يعقل ان يكون سمعها وهي تدخل، ومع ذلك استيقظ من غفوته وطفق يمسد وجهه بيديه المتعبتين.

توقعت ان ينتبه لوجودها في اية لحظة فاستبقت ذلك وقالت تحييه بمرح:

- اسعدت صباحاً.

بقيت واقفة حيث هي، لأن ساقيها المصطكتين عجزتا عن حملها لتصعد بها الدرج. واستدار اليها بوجه متجهم وتمتم بنكد وهو يحرك كتفيه ليلين عضلاتها المتقلصة:

- هل هو حقاً صباح سعيد؟

فأضافت بتردد:

- انه على الاقل ليس ماطراً.

لكن لم يبد عليه انه سمعها، وعاد يحرك فمه وذقنه بكفه العريض وسألها متذمراً:

- لا احسبك قد صنعت شيئاً من القهوة؟.

فقالت مدافعة عن نفسها:

- ما استيقظت الا قبل دقائق.

- اذن ماذا تنتظرين؟ اذهبي واصنعيها.

فأحست بامل السعادة الوهمي ينفجر في وجهها كفقاعة الصابون، فيما عدا تلك اللفتة السريعة المتجهمة لم ينظر اليها بتاتاً.

ولذا اعلنت بصوت جليدي:

- سأصنع القهوة لأني ارغب شخصياً في فنجان منها، واذا كنت تريد واحداً فاذهب الى المطبخ لتحصل عليه!

لم تعرف كيف خرجت من الغرفة لشدة غيظها واستيائها، وفي المطبخ فتحت واغلقت عدة خزائن حتى وجدت البن الذي وضعت المقدار المطلوب منه مع الماء في ابريق قهوة كهربائي واشعلته ثم جلست بجمود على احد الكراسي تصغي الى فقفقة الماء المغلية وهي تمتزج مع البن داخل المصفاة الخاصة به حتى تنضج القهوة تماماً.

وما ان سحبت الموصل الكهربائي حتى دخل رورك الى المطبخ، وبدون ان تنظر اليه مباشرة لاحظت نيشا انه كان حلق ذقنه واعاد الى شعره بعض التنظيم وارتدى قميصاً بنياً بدا منسجماً مع بنطلونه الفاتح.

وصرحت فوراً بقولها:

- القهوة جاهزة.

ثم نهضت وسكبت لنفسها فنجاناً حملته الى حيث الطاولة لكنها لم

تعرض ان تسكب له واحداً.

فسألها:

- هل تريدين عصيراً او خبزاً محمصاً او اي شيء آخر؟

- كلا، شكراً.

- حسناً، انما لا تأكلي رأسي بتصرفك الثلجي هذا.

استعرت غضباً واجابته:

- اذن لا تخاطبني بهذه الحدة! ان كنت قضيت الليل تعمل بدل ان تنام فلا تصب جام غضبك علي.

فاخترقت نظرته الهواء كرمح باتر سدده الى عينيها واجاب:

- الاريكة لا يزيد طولها عن خمسة اقدام ونصف قدم، فيما طولي انا، كما هو مسجل في رخصة القيادة، ستة اقدام واثنان. . . حاولي ان تنامي في ظرف كهذا!

- الذنب ليس ذنبي.

استند بتكاسل على منضدة المطبخ المستطيلة واجاب وهو يرشف القهوة الساخنة:

- حسبما اذكر، كنت تنامين على السرير الوحيد في هذا البيت.

- كان بامكانك ان. . .

فحثها على المتابعة بهدوء مميت:

- كان بامكاني ماذا؟

فنهضت واقفة على عجل وقد توردت وجنتاها بشدة.

وفيما هي تمر به لتسكب فنجاناً آخر من القهوة تابعت عبارتها قائلة:

- كان بامكانك ان تنام على السرير وتترك لي الاريكة.

فوضع فنجانه جانباً ومد ذراعه فأوقفها امامه. . . وفجأة عاودها ذلك الشعور بالخواء المؤلم وعيناه الداكنتان تتجولان عليها. وغمغم بجفاء:

- اوكان بامكاني ايضاً ان اشاركك السرير.

تلاحقت انفاسها فردت بصعوبة:

- لم اقل ذلك.

- لكني لو اردت البقاء معك لفعلت، اليس كذلك؟

اجتاحتها رعدة حنين لدى سماعها صوته الأجش والحامل في ثناياه

عناقاً غير منتظر ثم احنت رأسها في موافقة خرساء على كلامه.

وتابع روورك:

- ولو اني فعلت ذلك، لكنت تحاولين هذا الصباح ايجاد طريقة لتربطك بي.

فأحست كأن خنجراً بارداً انغمد في قلبها، وسألته وهي تشمخ برأسها دفاعاً عن كرامتها الجريحة:

- ألهذا السبب لم تفعل؟ لانك كنت تخشى ان اصبح انثى متطلبة تصر على الالتصاق بك؟

فقال محذراً اياها بهزة ساخرة من رأسه:

- لا تتظاهري بخبرة لا تملكين منها شيئاً.

- ما دمت تفضل الفتيات الخبيرات فلماذا كلفت نفسك عناء مغازلتي؟ هل فعلت ذلك لتتأكد فقط من انك لم تفقد براعتك في هذا المضمار؟

اجابها بلطف:

- كلا، لكن الانثى عندما تصبح ناعمة ومطواعة مع الرجل، يكون رد فعله غريزياً. وعلى الرغم من لسانك اللاسع يا حمراء، فأنت امرأة مثيرة.

- على الاقل انت لا تراني بغيضة كلياً.

- انا لا اراك بغيضة والحقيقة ان العكس هو الصحيح.

- انك تتكلم في دوائر فلا افهم شيئاً مما تقول... فمرة تزعم اني ساذجة جداً بالنسبة الى خبرتك ومرة ثانية تعطيني انطباعاً بانك تريدني. الا تقدر ان تستقر على رأي واحد؟

- اجل، اقدر.

لفظ الكلمة الثانية مشددة وتابع:

- ولكن ما مدى قدرتك انت؟ ما هو شعورك الحقيقي تجاهي؟

- انا اكرهك الآن!

- صحيح، فأنت كنت ستسمحين لي في الليلة الماضية...

اكتنفتها الحسرة فاطلقت تنهيدة يائسة وقد بدأ غضبها يتبخر. تأملت وجهه بعينين ضائعتين، وفي تعبير وجهها عاصفة صغيرة من الحية العاجزة، وغمغمت:

- امر غير معقول، أليس كذلك؟ فأنا اكرهك وفي الوقت نفسه...

وعلقت بقية العبارة في حلقها...

فحذرها روورك:

- على مهلك!

اختفى البريق الساخر في عينيه وحلت مكانه نيران قاتمة.

- لا تقولي شيئاً لاني قد اشك بأي اعتراف يصدر منك.

لكن تيشا لم تكن متأكدة من نوعية ذلك الاعتراف، فالحب لا يعقل ان يحدث بهذه السرعة ولا ان يترك لها مجالاً لان تشعر تجاهه بكل هذه العدائية المتنهبة.

وتكلمت اخيراً بعذوبة.

- روورك، انا نمثل، بشكل او بآخر، العادة قابلاً للاحتراق.

- اوافقك على هذا كل الموافقة.

واشرق وجهه بابتسامة عريضة عززت بريق الرضى في عينيه وغمغم سعيداً:

- صباح الخير يا تيشا. اعتقد اني لم اصبحك بعد، هل فعلت؟

- لا.

ابتسمت ووجهها مدفون في حنانه وقد توقفت عن الاهتمام بردود فعلها التكافؤية تجاهه. ارجعت رأسها الى الخلف كي تنظر الى محياه وتقول:

- هل تتصرف دائماً كدب عجوز نكد عندما تستيقظ من النوم صباحاً؟

فرد مبتسماً ونظرة عينيه الماكرة تذيب مفاصل ساقيها:

- فقط عندما تكون لدي فتاة تتجول في بيجامتي وفي غرفة نومي خلال السهرة.

وفجأة سمعا طقطقة في قفل الباب واحست تيشا بروورك يتقلص الى جانبها. ادارت رأسها باستغراب ونظرت صوب الباب الموصل الى الرآب، فانتابتها صدمة جعلتها تتجمد للحظة كاملة بلا حراك، ثم انتزعت نفسها بوجل من بين ذراعي روورك وهتفت بصوت رفيع لشدة انفعالها:

- بابا!

حدقت الى وجه ابيها المكسو بثورة باردة لكنه لم يكن ينظر اليها بل الى

الرجل الواقف معها. وسألته بصوت خافت لاهث:

- ماذا تفعل هنا؟

قذفها بنظرة قرف جليدية فادركت تيشا بثقة مرعبة ما كان يجول تماماً في ذهنه! التهبت وجنتاها حرجاً وارتباكاً وسارعت تقول مفسرة:

- بابا، الأمر يختلف تماماً عما تظن. لقد اضطررت الى البقاء هنا ليلة امس لأنه كانت هناك شجرة تسد الطريق و... ولم استطع العودة الى البيت مشياً في تلك العاصفة.

فغمغم ابوها متهكماً:

- هذا شيء مضحك. لم تكن هناك اية شجرة تسد الطريق عندما عبرت عليها بسيارتي.

كان التحدي واضحاً تماماً في عينيه حين قذف رورك بنظرة منتقدة، وكان الأخير ما يزال يرتكز بهدوء على الطاولة وعيناه مصوبتان مباشرة الى عيني والدها المقعمتين بعدائية مكشوفة.

ازدادت تيشا ارتباكاً، وعادت تفسر ويدها تحوم بعصبية على عنقها:

- كان من المفروض ان تصل صباحاً فرقة اصلاحات لتفتح الطريق و... ولا بد انهم ازالوا الشجرة في الموعد المحدد.

في تلك اللحظة ظهرت بلانش على العتبة وبادرت تيشا بنظرة عطوفة وغمغمت لها:

- اسفة يا عزيزتي.

واضافت هامسة وهي ترفع يدها بحركة تعبر عن عجزها:

- لقد وصل هذا الصباح ولم استطع منعه من المجيء الى هنا.

والتفت ريتشارد كالدويل الى صاحب البيت يسأله:

- اسمك ماديسون، اليس كذلك؟

ولما اومأ رورك بالايجاب قال ريتشارد موجهاً الكلام الى ابنته:

- تيشا، اريدك ان تعودي مع بلانش الى البيت بالسيارة.

فهتفت الفتاة:

- اي، كف عن هذا! انك تتصرف تماماً كأب فكتوري ولا ينقصك الا ان تحمل في يدك بندقية! لم يحدث اي شيء ليلة امس... رورك. اشرح له الحقيقة!

فرد ابوها متحدياً رورك:

- نعم، انا متأكد من ان ذلك المشهد الحميم البسيط الذي شاهدته لحظة دخولي لم يكن سوى تعبير منك عن عاطفتك الاخوية لابنتي!

فاعترضت تيشا حانقة وهي تلبط الارض بقدمها:

- لم يكن موقفاً حميماً. كان يحيطني بذراعيه فقط.

نفد صبر ريتشارد وانقطع الخيط الرفيع الذي كان يمسك اعصابه فصرخ فيها قائلاً:

- قلت لك ان تنصرفي!

فوقفت في طريقه راسخة القدمين واجابت:

- كلا! لن انصرف قبل ان تقتنع بتفسيرنا!

- لست بحاجة الى تفسيركما! انا اعرف تماماً ما كان يدور بينكما عندما فاجأتكما بدخولي!

فهتفت واليأس والخيبة يخفقان بصوتها:

- بحق السماء يا بابا، انا ابنتك، فهلا اصغيت الي؟

ثم قلصت فمها بوجوم واردفت متسائلة:

- ام لكوني ابنتك تصر على المعاندة ولانك تعرف ما كنت ستفعله في ظروف اخرى مشابهة؟

فالتمع على وجهه شعور بارق بالذنب قبل ان يسارع الى محوه واجابها بحدة:

- ما تقولينه هراء محض! لا تحاولي ابعادي عن الموضوع الاساسي والاهم.

- انا لا احاول ابعادك عن اي شيء بل احاول منعك من جعلنا اضحوكة في نظر الآخرين!

حدق اليها ريتشارد كالدويل لدقيقة كاملة وهو يقاوم ضعفه امام الاسترحام البادي في عينيها الخضراوين الغاضبتين والمليئتين بالدموع. ثم ادار نظرته القاسية صوب رورك الذي استمر منذ وصوله يتابع فصول المعركة بهدوء تام.

ضبط ريتشارد نبرات صوته الجامحة واعلن لها بحزم:

- انا والسيد ماديسون لدينا موضوع خاص سنتداوله على انفراد. لذلك

اريدك ان تصعدي الى سيارتك وتعودي مع بلانش الى البيت.

فأجابته تيشا بدون ان تتزحزح عن وقفتها المتمردة امامه:

- لا يمكنني ذلك لأن بطارية سيارتي قد تعطلت مساء امس.

فرد حانقاً:

- اذن خذي سيارتي!

كتفت ذراعيها على صدرها، وقالت وهي تتابع تحديقها الغاضب الى الرجل الطويل الأسود الشعر:

- من المفروض ان امثل الفريق المتضرر في هذه المسرحية الساخرة، ومن حقي بالطبع ان اصغي الى هذا الحديث الخاص.

فقال ابوها بعزم واصرار:

- الاناث لا يمكنهن بحث الامور بذكاء ومنطقية عندما تكون هذه الامور متعلقة بعواطفهن، وانت سوف تصابين بالهستيريا حالما تبدأ الحديث.

فتأوهت بغضب:

- اوه! انت الذي لا تستطيع بحث الامور بذكاء! ثم انك لم تكن هنا ليلة امس، ومع ذلك انت واثق جداً من معرفتك لكل ما حصل!

فانفجر ريتشارد صارخاً:

- ارفض ان احتمل وقاحتك دقيقة اخرى! عليك ان تغادري هذا البيت فوراً!

فهتفت تيشا وهي ترفع صوتها ليعادل مستوى صراخه:

- لن اتركك هنا لوحدك مع زورك!

وفجأة، سمعت حركة خفيفة خلفها ثم شعرت بيد تلمس خصرها وجاءها صوت زورك يقول باسترخاء متلذذ:

- لدي القدرة الكافية على خوض معاركي الخاصة يا حمراء.

فرد عليه ريتشارد كالدويل بسخرية متشفية:

- بدأت اعتقد انك من النوع الذي يختبىء وراء اثواب النساء.

نظرت تيشا خلف ظهرها فرأت عيني زورك تتصلبان فجأة مع ان تعبير وجهه ظل محتفظاً بليونته... لكنها تدرك من خلال خبرتها الخاصة ان زورك خصم شديد البأس والسطوة، وانها ما استطاعت ابداً ان تتغلب عليه، حتى عندما كان يخيل اليها احياناً انها المنتصرة.

واجاب زورك بسكينة ادهشتها:

- اني افهم قلقك واهتمامك بما حصل ليلة امس يا سيد كالدويل.

ثم نظر الى تيشا والى عمق عينيه البنيتين بريق مطمئن، واردف:

- كذلك اوافقك تماماً على ان بحث الموضوع بمنطقية سيكون صعباً في حضور ابنتك وحيث ستثور وتعم عصبيتها ارجاء المكان.

فشهقت تيشا لخيانته المفاجئة لها وهتفت:

- لن انصرف من هنا!

فقال وهو يدفعها الى الأمام قليلاً:

- هيا، اذهبي مع بلانش الى البيت. انا واثق من انني ووالدك سوف نتوصل الى تفاهم ما.

وهذه المرة، نقلت وقفتها المتمردة اليه، فرسخت قدميها امامه وصرحت برأس شامخ متحد:

- لن اذهب!

فرد عليها زورك بلهجة هادئة وحازمة جداً:

- بل ستفعلين رغبة والدك.

- واذا رفضت ذلك، ماذا ستفعل؟ هل سترفعني عن الارض وتحملني الى السيارة بالقوة؟

خفت صوتها لدى تلفظها بالكلمة الاخيرة وذلك حين ذكرتها نظرة عينيه بالليلة الفائتة لما حملها بلا ادنى مجاملة الى داخل البيت.

ولكنه يجيبها:

- سأفعل ذلك اذا اضطررت.

عندئذ ادركت انه هزمها... استرقت النظر الى والدها فرأت في عينيه بريق احترام ازاء النبرة الحاسمة في صوت زورك. ولم تستبعد ان يصفق اعجاباً اذا ما اصرت على المقاومة ورأى زورك يحملها عنوة ليخرجها من البيت.

استشاطت غضباً وقالت وهي توزع سموم لسانها بالتساوي بين الرجلين:

- اعتقد ان كليكما يثير القرف بهذا التصرف الذكري المتعالي والمصر بغرور بانه على حق! سأنصرف لا لسبب الا لأني ما عدت اطيق رؤية اي

منكما!

تجمعت دموع المرارة في عينيها وهي تخرج غاضبة من المطبخ وعمتها تسير خلفها بهدوء. توقفت عند سيارة والدها ثم دارت حولها الى الجهة الاخرى وقالت لعمتها:

ـ تسلمي المقود يا بلانش فأنا ثائرة الى حد قد يجعلني اصطدم بشجرة.

قلصت اصابعها وغرزت اسنانها في قبضتيها حين ادارت عمتها محرك السيارة وانعطفت بها الى الطريق. وغمغمت تيشا ودموع الخيبة تحرق خديها:

ـ ما تعرضت لاذلال كهذا في حياتي! لماذا اضطر ابي للمجيء هنا؟ لماذا هو على استعداد دائم لتصديق اسوأ الاشياء؟

فردت بلانش برقة:

ـ لقد اشتاق اليك وجاء ليقضي هذا اليوم معك.

ـ ليته لم يأت. لا اريد رؤيته ابداً بعد اليوم!

ثم تهدلت كتفاها بانكسار واردفت وهي تتنهد وتمسح الدموع عن وجهها:

ـ لم اقصد ما قلت. انه ابي وانا احبه.. لكن لماذا لا يقدر ان يثق بي؟

ـ لست انت من لا يثق به كثيراً. بل هو رورك. دعينا نواجه الحقيقة، فلو ان رورك كان رجلاً بديناً قصيراً وفي الستين من عمره، لما وصل ابوك ابداً الى ذلك الاستنتاج وبتلك السرعة. واذا كان قد دخل ورآك بين ذراعي رورك، كما قلت، فلا تلوميه لكونه حكم عليكما من خلال ما رآه بأم عينه. ثم لا تنسي ان اباك كان مغامراً في شبابه ولم يأبه على الارجح لاعتراضات نساء عديدات على تقرباته الغرامية منهن، ومن الجائز جداً انه تصور رورك يفعل معك الشيء ذاته.

اجتاحتها موجة خجل عارمة، فلا احد سواها وسوى رورك يعلم الى اي حد كادت اتهامات ابيها ان تقترب من حدود الحقيقة. كم تشعر الآن بالذنب، ولا ريب ان هذا الشعور رافقها من قبل ايضاً وكان السبب الذي جعل نفيها لتلك الاتهامات شديد الحرارة وربما اقل قابلية للتصديق.

عقدت حاجبيها بضيق وقالت تتنهد بندم:

ـ كم اتمنى لو ان تلك الشجرة لم تهو ليلة امس ولو ان فرقة الانقاذ لم تبادر الى ازاحتها من الطريق في الصباح الباكر.

وعلقت بلانش تذكرها بوجوم:

ـ وثم انا ناخذه لا بي ارتمشت الى هنا لبلة ـ سسي بلطف الرسائل، وقد حدث ينبغي ان اصر على ذلك.

ـ اوه. بلانش، انا لا الومك بتاتاً!

ـ اعلم ذلك لكني الوم نفسي... لقد تركت القهوة على نار خفيفة.

فردت تيشا بعد ان ترجلت من السيارة:

ـ ارجو ان تكون نضجت تماماً لأني باشد الحاجة الى قهوة قوية منعشة.

دخلتا معاً وسارعت بلانش الى سكب فنجانين لكلتيهما وجلستا الى طاولة المطبخ تواسيان بعضهما بعضاً بصمت.

وفي الاخير تنهدت تيشا من قلب موجوع وقالت تبث عمتها همها:

ـ بعد الذي حصل. لا اتصور ان ابي سيسمح لي بالبقاء معك. سوف يحملني على الارجح مع ثيابي ويعود بي الى البيت حيث يمكنه ابقائي تحت الحراسة المشددة... واذا كان في الماضي قد ارعب اصدقائي الشبان حسب اعتقادي، فذلك سيكون شيئاً بسيطاً بالنسبة الى ما سوف يفعله من اليوم فصاعداً.

فقالت بلانش تطمئنها بحماسة:

ـ لست مضطرة الى مغادرة بيتي، فمهما ارتأى اخي من اجراءات ستبقين هنا على الرحب والسعة.

شكرتها تيشا مبتسمة ثم سألتها وبصرها يشرد الى النافذة:

ـ ماذا تظنينه سيفعل برورك؟

فأجابت عمتها بأسى:

ـ لا اظنه سيفعل به شيئاً.

ـ ليتني اعرف ماذا يجري الآن هناك.

ـ ستعرفين ذلك قريباً.

ومضت ساعة، بدت كسنة لتيشا، قبل ان تسمعا صوت سيارة تيشا تتوقف في الممر. فتبادلت المرأتان نظرة متعاطفة فيما استعدت الفتاة لمواجهة ثورة ريتشارد. لكن عندما دخل المطبخ كان وجهه يشع بابتسامة راضية وراح يفرك كفيه مع بعضهما البعض كأنه انتهى لتوه من تنفيذ مهمة شاقة.

وسألها بصوت مرح:

- هل تركتما لي بعض القهوة؟

لقد توقعت تيشا اي شيء الا هذا الحبور البادي في صوته وتصرفاته. تغضن جبينها بعبسة حائرة واخذت تراقبه وهو يسكب قهوة في فنجانه ويحمله الى الطاولة حيث تجلس مع بلانش.

اتخذ مجلسه على الكرسي وكأنه يستوي على صهوة جواد ولامست اشعة الشمس فوديه الشائبين فالتمعا كالفضة. اومأ برأسه لتيشا وقال:

- انت شابة محظوظة جداً.

- ماذا تعني؟

فأعلن باعتزاز وهو يرشف القهوة الكاوية:

- صديقك السيد ماديسون وافق على تنفيذ الاجراء اللائق بحقك.

تقلص ظهرها لدى سماعها كلماته واستوضحته مذهولة:

- ماذا تقصد بالاجراء اللائق؟

- لقد وافق على الزواج منك بالطبع!

- اوه، يا الهي!

كانت لا تصدق اذنيها، واشتد بها الذهول الى حد الشلل. ثم اردفت بصعوبة:

- لا يعقل ان تكون جاداً في كلامك!

- بل انت مخطئة تماماً، فانا اتكلم بمنتهى الجدية! ستجري فحوص الدم وتحصل على رخصة الزواج هذا الاسبوع.

فهتفت تيشا وهي تقفز من مكانها ملتاعة:

- لا، لا والف لا! لن اتزوجه.

- بل ستتزوجينه بكل تأكيد.

فاعترضت بصرخة يائسة:

- لكني بالكاد اعرف هذا الرجل، وفي الواقع، لا اميل اليه بتاتاً!

- كان يجب ان تدركي هذه الحقيقة قبل ان تقضي الليل معه!

- لقد امضيت ليلة في بيته وليس معه. انه بالطبع شرح لك ذلك. الم يفعل؟

احست بالخوف يتكوم في حلقها وهي تنتظر جوابه. فقال بليونة

ووساطة:

- في الواقع لم اجد داعياً لنبحث بدقة تفاصيل ما حدث في الليلة الماضية. فحالما اكتشفت ان نواياه شريفة تجاهك لم تعد هناك اي حاجة الى بحث علاقته الحميمة بك.

فكررت تيشا مستغربة:

- نواياه شريفة تجاهي؟ هل تعني ان روورك يريد الزواج مني بكامل رضاه؟

- اقنعته بأنه بات ملزماً بذلك، وبأقصى سرعة ممكنة.

فتدخلت بلانش لتسأله غاضبة:

- ريتشارد، هل هددته باقامة دعوى عليه؟

شعر بحرج فتململ في جلسته واجاب:

- لم اقل له ذلك بكلمات واضحة، لكنه رجل ذكي فأدرك من تلقاء نفسه اني مضطر الى ان احمي سمعة ابنتي. وبالطبع، كان عليه بالمقابل ان يحمي سمعته من فضيحة محتملة.

فهتفت تيشا ثائرة:

- في الواقع، انت سترغمني على الزواج منه! انا لا احبه!

فأكد لها والدها قائلاً:

- انه شاب قوي الشخصية ولديه مهنة ممتازة، كذلك هو واسع الثراء نظراً الى ما استطعت استنتاجه من واقع بيته. كان من الممكن ان ترتبطي برجل اقل ملاءمة لك بدرجات، فكيفن مثلاً، ما كان ليستطيع ابدا ان يضعك عند حدك لكني اظن ان ماديسون سيكون قادراً على ضبطك.

وهنا التمعت عيناه. بشرارة غضب واردف:

- لما دخلت عليكما في ذلك المطبخ كنت تعانقينه برضى تام ربما انت لست مغرمة به الآن، لكن بوجودك مع رجل مثله، لا بد ان تحبيه مع مرور الوقت.

- لا! لن اتزوجه!

- الموضوع بات منتهياً واخذ كفايته من البحث والجدل.

وضع فنجانه على الطاولة ونهض عن مقعده قائلاً:

- الآن، استأذنكما اذ ينبغي ان اجري بعض الاتصالات الهاتفية مع

الموظفين لاستطيع التفرغ هذا الاسبوع. انها لنعمة ان يكون الرجل رئيس نفسه وحيث يقدر في الحالات الطارئة ان يوكل مهمات العمل الى مستخدميه.

وحالما انصرف ابوها، انطرحت تيشا على كرسيها وتمتمت:

ـ لا اصدق كل هذا! ما الذي جعل رورك يوافق على الزواج؟

فاعترفت عمتها بقولها:

ـ وانا لا اقل عنك استغراباً.

ـ ما زلت احس باني اعيش كابوساً واني لن افيق منه الا اذا قرصت نفسي بقوة... كم انا شاكرة لكل تلك الاجراءات العصرية التي ينبغي على المرء اتباعها قبل اتمام الزواج، فلولاها لسارع ابي الى تزويجي منه فوراً... كنت اعلم دائماً انه صارم التربية الى حد رهيب انما لم اتصور حتى في الحلم ان يلجأ الى مثل هذا التصرف!

فقالت عمتها بتردد:

ـ من الواضح ان رورك وافق على هذا... الزواج. اعرف انك تجذبينه لكني كنت اتساءل... هل وقعت في حبه يا ترى؟

ـ انا؟ اقع في حب رورك؟

وعلى الرغم من كل الغضب الذي حشدته في صوتها بدت هزة رأسها النافية خالية من حرارة الانكار. واضافت تقول بحزم وكأنها خائفة الى حد ما من فحص عواطفها:

ـ لن اقع ابداً في حبه!

ثم قفزت واقفة وصرخت بتحد:

ـ يجب ان اكلم ابي. يجب ان اقنعه بشكل ما بأني لا اريد الزواج من رورك.

٨ ـ هل تثقين بي؟

امضت تيشا طوال ذلك النهار تقريبا تجادل اباها تارة وتتوسله طورا فما استطاعت دموعها ولا اقناعاتها المنطقية ولا عباراتها الغاضبة أن تجعله يغير رأيه. حتى ادركت اخيرا انها لن تتمكن من زحزحته عن موقفه الصلب ما دام يعتقد ان رورك سيتزوجها... تركته ودخلت الاستديو ثائرة وحيث كانت بلانش قد التجأت اليه بهدوء لتدعهما يتحاوران على انفراد.

توسلتها تيشا ودموع الخيبة المريرة تحرق عينيها المذعورتين:

ـ ارجوك، اذهبي وشاغلي بابا بأي شيء، فيجب ان اخابر رورك تلفونيا ولا اريد ان يلتقط ابي التلفون صدفة ويكتشف اني اكلم رورك.

فبادرت بلانش الى وضع فرشاتها جانبا واخذت تنظف يديها بقطعة قماش لتزيل عنها آثار الدهان، وسألتها بلهجة حانية:

ـ ألم تنجحي في اقناعه؟

لكن الفتاة لم تجبها، وأدركت بلانش من التعبير المتجهم على وجه الفتاة انها فشلت في محاولاتها الفنية، فاردفت تقول بواقعية:

ـ ستجدين رقم رورك في الدليل قرب التلفون.

شكرتها تيشا... فخرجت المرأة واتجهت هي الى التلفون. وبأصابع ترتجف غضبا ادارت القرص واصغت بصبر نافد الى رنينه المتواصل في الطرف الآخر. كانت على وشك ان تقفل الخط حانقة عندما اجاب رورك اخيرا فاستوضحته بغضب وبلا مقدمات:

ـ اين كنت حتى تأخرت بالرد الى هذا الحد؟

ـ من يتكلم؟ تيشا؟

- بالطبع.

فرد بصوت جاف لم يخل من مرح ماكر:

- نعم، بالطبع. فمن غيرك يحيي الأخرين بهذه الطريقة الوقحة؟ وجوابا على سؤالك كنت اشتغل لكسب عيشي كما تعلمين.

صوته الأجش المتهكم اضاف وقودا الى عصبيتها المتنبهة فردت بنزق:

- لا وقت لدي للثرثرة فقد يكتشف والدي في اية لحظة اني اكلمك.

- وابن الضرر في مخابرة تلفونية وقد بات يشك في حدوث اشياء اهم بيني وبينك؟

- كف عن الكلام واصغ الي! من عادة ابي ان يأوي الى فراشه في العاشرة ليلا. اريدك ان تلاقيني في الحادية عشرة تماما عند آخر الممر هنا. هل اخذت علما بما قلت؟

- اجل...

لكنها لم تدعه يكمل عبارته وقالت بسرعة قبل ان تقفل الخط:

- سأراك هناك وعندها نتحدث.

لم يكن الوقت ملائما لحديث طويل متشعب، وكم يحز في نفسها ان يأخذ الامور بهذه البساطة واللامبالاة!

تعمدت الابتعاد عن ابيها حتى موعد العشاء وحيث احاطت تصرفاتها ببرود ثلجي وقذفته بين الحين والحين بتعليقات قارصة لتفهمه بانها لا تزال تعارض مرسومه القاضي بزواجها من رورك. لكن لا شيء زعزع معتقده بصوابية الاجراء الذي قرر تنفيذه.

ولما انتهت هي وبلانش من نقل الصحون الى المطبخ، وكان ابوها قد جلس مسترخيا في غرفة الاستقبال، بدأت تتساءل عما اذا كان الهرب هو الوسيلة الوحيدة التي ستخلصها من الزام الزواج في الموعد المضروب. وقررت وهي تغسل الصحون ان رورك هو مفتاح الحل، واذا هما تشاركا في الآراء والمقترحات سوف يتوصلان الى طريقة مناسبة تنقذها من هذه الورطة.

شرد بصرها الى النافذة فوق الحوض واجفلت حين رأت السيارة ... السوداء تتوقف عند مدخل البيت. نظرت بسرعة الى ساعة الحائط ... تشير الى السابعة وبضع دقائق... لا يعقل ان يكون رورك قد اساء

فهمها فهي قالت الحادية عشرة ولم تقل السابعة.

انزلق الصحن من يدها وفسرت لبلانش بهمسة مذعورة وهي تتناول المنشفة منها لتجفف يديها:

- انه رورك! لقد وصل الآن!

فقالت بلانش مقطبة:

- حسبتك قلت انك ستلاقيه في الحادية عشرة.

فردت لها المنشفة قبل ان تجف يداها تماما واجابت:

- هذا ما افهمته اياه ولا ادري لماذا جاء الآن... يجب ان امنعه من الدخول قبل ان يراه ابي!

لكنها ما كادت تتحرك خطوتين من مكانها حتى رن الجرس وكان ريتشارد كالدويل قد وصل الباب الامامي في الوقت الذي بلغت فيه تيشا عتبة المطبخ. توقفت حيث هي وقد استعدت للهرب حالما شاهدت الطريقة الهادئة والودودة، التي رحب الرجلان بها بعضهما ببعض... احست بقلبها يترك صدرها ويختفي في مكان ما من حلقها وهي تحدق بجنون لمرأى الرجل الطويل الرصين يبادل اباها عبارات المجاملة والتودد. ثم سمعته يقول بصوت متعطف:

- ارجو الا يضايقك مجيئي في هذا الوقت.

وهنا نظر للحظة الى تيشا بعينيه اللامعتين واردف:

- اردت التحدث الى ابنتك لبضع دقائق، فهل تسمح بأن اراها على انفراد؟

فلاحق ريتشارد نظرته الى حيث تقف تيشا واجابه وفي عمق عينيه انتصار متلالىء:

- لا مانع لدي.

فسأله رورك بتهذيب جم احسته تيشا ينخر اعصابها المتقلصة:

- هل اجلس واياها في استديو بلانش؟

- بكل تأكيد. تفضل.

لو لم تكن تيشا في حاجة ماسة الى التداول مع رورك لتضع حدا لمشروع زواجها منه لكانت رفضت لحظتها ان تراه، لكن والحال هكذا فقد اضطرت الى التقدم معه داخل الاستديو.

وحالما انغلق خلفها صبّت عليه جام غضبها وقالت بصوت كفحيح الافعى:

- طلبت اليك ان تلاقيني في الساعة الحادية عشرة.

فاجاب متشدقا ببرود:

- وهل ظننت اني كنت سأوقع نفسي مجددا في ذلك الفخ؟ ان العاقل لا يلدغ من الجحر مرتين يا عزيزتي.
- اي فخ؟
- لا شك انها اقدم خدعة انثوية على مر العصور وقد توقعت منك ان تبتكري خدعة اطرف منها يا حمراء.
- عن اي شيء تتكلم؟
- اني لأتساءل عن عدد الرجال الذين سيقوا الى مصيدة الزواج بسبب ليلة يقضونها مع فتاة، ليلة قد تكون بريئة تماما، وفي الصباح يظهر والدها على العتبة يهدد بالويل والثبور؟

شهقت تيشا باستياء اذ ادركت قصده. انه يحسبها الرأس المدبر لكل ما حدث، فبادرت تقول:

- انت تظن اني... اوه، لا يعقل ان تعتقد باني خططت لهذا! اقسم لك انه ما خطر لي اطلاقا ان ابي كان سيأتي اليوم لزيارتي. لقد اتى فجأة وبلا سابق انذار. رورك، يجب ان تصدقني!

تدحرجت العبارة الاخيرة على شفتيها بيأس وهي تقترب تلقائيا من قامته المهيبة وتناشده التفهم بحدقتين متسعتين.

فتوجهت مقلتاه ببريق ساخر وقال بهدوء:

- يا فتاتي العزيزة، لو خطر لي للحظة واحدة انك انت التي دبرت هذه اللعبة لكنت لويت عنقك.

تجمدت لبرهة اذ عجزت عن التصديق بان اتهامه كان مجرد مزاح. ثم رأت شبح ضحكة مكتومة تتوهج في عينيه فتملكها الغضب وقالت وهي تضرب الارض بقدمها بعصبية طفولية:

- هذا ليس وقتا مناسبا للمزاح!

فغمغم يسترضيها بصوت رقيق:

- اردت فقط ان ارى كيف سيبدو الامر من وجهة نظري.

فاتهمته قائلة:

- فعلت ذلك عن عمد وتقصدت ايضا ان تتجاهلني حين طلبت اليك ان تلاقيني في الساعة الحادية عشرة.
- لو اني التقيتك في هذا الموعد حسب طلبك وفي احد الزوايا المظلمة. ولو ان اباك رآنا معا، فاي تصور رهيب كان سيقفز الى ذهنه واية مبادرة كان سيتخذ لمعالجة الموقف؟ الاستنتاج اياه الذي توصل اليه هذا الصباح وبالتالي الاسراع في اتمام الزواج.

اشاحت تيشا عنه لعجزها عن مواجهة نظرته الحادة الثاقبة. كلامه ينطوي على حقائق اكيدة لا يسعها تجاهلها بأي حال... وتابع رورك يقول:

- لكن بمجيئي الى البيت وبمراعاة التصرفات المكشوفة الخالية من الشوائب فقد يقتنع من تلقاء نفسه باننا موضع ثقته.
- وأي فائدة سنجنيها من جعله يثق بنا، ما دمنا عاجزين عن اقناعه بتغيير رأيه حول فكرة الزواج السخيفة هذه؟
- من الصعب ان تتوقعي من رجل عنيد كوالدك ان يغير رأيه بين ليلة وضحاها، وعلينا ان نسعى الى اقناعه بالتدريج.

فغمغمت بمرارة:

- بكلمات اخرى، علينا ان ننتظر حدوث عدة معجزات صغيرة بدلا من انتظار واحدة كبيرة.
- شيء من هذا القبيل.

فشمخت برأسها وهتفت تتحداه بسؤال عويص:

- وكيف تنوي الشروع في اقناعه؟ هل ستأتي له بزوجة من تحت الارض لتقنعه بانك سترتكب جريمة تعدد الزوجات اذا تزوجتني الآن؟

فابتسم بجفاف واجاب:

- هذه فكرة متطرفة. لقد خطر لي اننا قد نقنعه بتمديد فترة الخطوبة من بضعة ايام الى بضعة اشهر وهذا اقرب الى المنطق بالنسبة اليه.

فحللت تيشا فكرته بقولها:

- وفي خلال هذه الاشهر القليلة، سيرى بنفسه اننا غير متكافئين بتاتا وحيث نوافق على قرارنا بفسخ الخطوبة... لا، ثق انه لن يوافق.

- ولم لا؟

قطبت حاجبيها باستنكار وردت:

- انت لا تعرف ابي كما اعرفه. انه عنيد ومتى تشبث بفكرة معينة لا يفلتها اطلاقا.

- انا واثق من انه سيفكر في سعادتك بالدرجة الاولى.

هزت رأسها واجمة واجابت وهي تستند بتراخ على احد الكراسي.

- انا لست واثقة مثلك، فهو تخلى تماما عن كيفن وفضلك زوجا لي لاعتقاده بانك اقدر من كيفن على كبح جماحي.

ادارت وجهها صوبه ورأت في عينيه نظرة التلذذ التي اثارتها كلماتها فاستشاطت غضبا واعلنت بشراسة:

- انت السبب في كل هذا البلاء، فلو لم تتآمر مع والدي على اخراجي من بيتك هذا الصباح، لما وقعنا في هذه الورطة المخيفة. لماذا فسحت له المجال وجعلته يرغمك على الرضى بهذا الزواج؟

فأجابها رورك بهدوء وبدون ان يتضايق بتاتا من لسانها اللاذع:

- شعرت بالذنب على الارجح.

ازدادت حنقا وهتفت:

- شعرت بالذنب؟ لم يكن هناك اي شيء يدعو الى ذلك! لم يحصل اي شيء بيننا! لو انك آزرتني عندما كنت احاول اقناعه بهذه الحقيقة لكان من الجائز ان يصدق انكارنا المشترك.

راح يتأملها من الرأس حتى القدم بنظرة متمهلة. فعاد ينتابها ذلك الاحساس بانه يلمسها، واجابها بليونة:

- انت على حق، لم يحصل بيننا شيء سوى مشهد حب لم يصل ابدا الى الذروة. ولكن اذا اردت رأيي كرجل، فلنقل انه لم ينته عند تلك الحدود يا فتاتي الصغيرة.

تصريحه الايحائي هذا لم يمر بدون احداث رد فعل لديها اذ تصاعد الدم الى محياها بسرعة مقلقة واحست في تلك اللحظة ان جاذبيته اقوى من قدرتها على المقاومة لكنها هتفت لتوقف موجة الاختناق المتسللة الى حلقها:

- كف... كف عن مناداتي هكذا. انا لست فتاة صغيرة.

فقبضت يد رورك على خصلة طويلة من شعرها الداكن الاحمر ولفها

حول اصابعه عدة مرات قبل ان يسقطها على كتفها، وقال يؤكد اعتراضها برقة:

- لا، لست صغيرة بل امرأة تضج بالانوثة وذات قدرات على اثارة الرجل وقد اثبت ذلك ليلة امس.

اشاحت عنه وتراجعت خطوة الى الوراء لتضع بينها وبينه مسافة آمنة ثم قالت متلعثمة:

- اننا.. نبتعد عن... الموضوع.

ركز يديه حول خصرها وقال وهو يشم عبير شعرها المسدل على عنقها وكتفيها:

- لا اظننا حدنا عن الطريق.

حاولت الابتعاد عنه لكنه قربها منه اكثر فقالت تعترض بوهن:

- لا تفعل ذلك.

فأجابها ساخرا:

- ولم لا؟ اننا مخطوبان ومن حقنا ان نستمتع ببعض المباهج التي هي جزء من الخطوبة.

بدأت مقاومتها تتراخى فعبت من الهواء الذي احسته يتسلل من الغرفة تدريجيا وهمست بصعوبة:

- هل نسيت اننا كنا نبحث عن وسيلة للتخلص من هذه الخطوبة؟

- احقا؟

رأت نظرته الكسولة نصف المطبقة تتركز على وجهها، وارعبتها حركة رأسه الخفية والمعبرة عن نيته. وبدأت تقول لتمنعه من ذلك:

- رورك، لا...

لكنه افحمها فورا بعناقة. سمعا فجأة طرقة على الباب تبعها فورا صوت مقبض الباب وهو يفتح.

وحتى قبل ان تنتزع تيشا نفسها من بين ذراعي رورك همست لها حاسة سادسة بان اباها هو الذي يقف على العتبة. اتجه بصرها الى هناك، فالتقت عيناها الزيتيتان والمفعمتان بشعور الذنب بعينيه البنيتين المتألقتين.

وقال ابوها مبتسما:

- جئت لاسألكما اذا كنتما ترغبان في قهوة طازجة.

- قد نشربها في ما بعد.

فانسحب ابوها مغلقا الباب خلفه، وهنا ثارت ثائرة تيشا فهتفت وهي تحرر نفسها من قبضة رورك التي تراخت فجأة:

- لقد حرقت الطبخة! الآن لن تستطيع اقناعه ابدا باننا لا نريد اتمام الزواج! هل كان عليك ان تفعل ذلك؟ انا لا استطيع الزواج منك! لا استطيع باي حال!

فمرر اصابعه في شعره وقال بلا اكتراث:

- كيف كان لي ان اعرف بانه سيختار لحظة محرجة كهذه ليلعب دور الكريم؟ لكن الامر حصل وانتهى.

- حصل وانتهى! أهذا كل ما تستطيع قوله؟ انا اجهد ذهني في البحث عن طريقة تنقذنا من هذه الورطة وانت لا تحاول إلا ان تجد طريقة لاستغلالها! ما رأيت في حياتي شخصا انانيا مغرورا...

وراحت تبحث بجنون عن نعت معين آخر فساعدها بقوله:

- وبغيضا.

- اجل. انت بغيض! لن اطيق ابدا ان اكون زوجة لدب مستبد على قرارك!

تأملها بنظرة رقيقة وعلق محيا:

- ومن قال لك اني سأرضى بزوجة زاعقة شرسة تكبل عنقي لسائر ايام حياتي؟ ومع ذلك، لا بد من الاعتراف بان الزواج من فتاة مزدوجة الشخصية مثلك، سيشكل تجربة طريفة.

- لا اعلم عن اي شيء تتكلم.

- انت على استعداد دائم لتوجيه الاهانات الي او بالاحرى لقذفي بها كالحجارة، الآن تقولين انك تجدينني بغيضا، وعلى الرغم من ذلك تتجاوبين دائما وبلهفة مع تقرباتي العاطفية. هل تساءلت مرة عن سبب هذا التناقض؟

شعرت بازدراء ذاتي جعلها تخفض رأسها لكن كبرياءها أبت عليها إلا ان تجيبه بسخرية:

- انه انجذاب آني... لن اتزوجك ابدا.

- اذن هل لديك اقتراح بديل للاقتراح الذي عرضته؟

- افضل الهرب في اللحظة الاخيرة على ان اقبل بك زوجا لي!

فعلق رورك بهدوء:

- الهرب لا يحل اية مشكلة.

- سيخلصني من ارتباطي بك كزوج.

- ولكن ماذا عن والدك؟

- ماذا تعني؟

هل انت مستعدة لتحمل عواقب الغربة التي سيحدثها هربك منه؟ ان العلاقة بين الاب والولد هي في احسن الاحوال علاقة رقيقة، ومتى انقطع رابط الحب والثقة بينهما يصبح من الصعب اعادة ربطه. صحيح انكما تتشاجران الآن وتتجادلان، لكن أليس افضل من الصمت والقطيعة؟

تململت تيشا بانزعاج. انها لا تحتاج الى تفهيم رورك بان اباها كان يفعل بحسب ما يعتقده الانسب لمصلحتها. ان هربها سيحطم قلبه، فهذا انته بلاش، لم يبق له من العائلة سواها، وهو يحبها بمقدار ما تحبه بل ربما اكثر.

اجتاحها ألم شامل فتنهدت من عمق صدرها وقالت:

- لا ادري كيف اتصرف. انا احب والدي انما لا اريد في الوقت نفسه ان اتزوج شخصا لمجرد انه يريده زوجا لي.

ألقى يديه على كتفيها وكانت لمستها خالية من الحميمية السابقة، بل كان اتصالها ودودا ومواسيا، رفعت بصرها اليها فاذا به يبتسم مظهرها ثم قال لها بلطف:

- قد لا يكون من حقي ان اطلب اليك هذا يا تيشا، لكن هل لك ان تتركي الامر لي؟ هل لك ان تثقي بصدق نيتي في ايجاد الحل الذي من شانه ان يضمن السعادة لكلينا؟ اني اطلب اليك ان تضعي مستقبلك بين يدي.

فراحت تتأمل عينيه البنيتين الدافئتين وقد بدت نظرتها كمخمل ناعم يخفي تحته قدرة رورك على تطويع المصاعب. وذكرت تيشا نفسها بانه لا يحمل حتما رغبة في الخلاص من هذا الزواج الارغامي. لم يكن هناك دافع حتى آخر لطلبه، فاي دافع يمكن ان يكون هناك؟

وتمتمت محبة:

- نعم، انا اثق بك.

فغمز لها بعينه وكأنه يضحك من وقار صوتها وقال:

- عظيم. اتركي لي كل شيء. ومن اليوم فصاعداً، لا تجادلي اباك. لا تقولي او تفعلي شيئاً قد يزيد من عناده، فكلما حاولت اقناعه بانه على خطأ كلما تأكد هو بانه على صواب. هل توافقين على هذا التنفيذ؟

- اوافقك.

واستغرب كيف استطاع حملها على الابتسام بعدما ظنت انه لم يعد هناك شيء جدير بالابتسام، واردفت تمازحه:

- لا ريب انك ندمت على عدم سماحك لي بالعودة الى البيت مشياً، مساء امس.

فاجابها ضاحكاً:

- لو اني حلمت بان لك اباً هائجاً ينتظر في الكواليس لكنت ارجعتك محمولة على كتفي، ولكنت لت ايضا نوما مريحا بدل ان استيقظ متيبس العضلات.

فضحكت تمازحه:

- عندما يحدث شيء كهذا في مرة ثانية ينبغي الا تكرر الغلطة بل ترسل الفتاة الى بيتها لتنام في سريرها.

تعمق لون عينيه بتعبير غامض غريب واجاب بحزم:

- لن تكون هناك مرة ثانية. هيا نشرب القهوة قبل ان يعود والدك ليرى ما الذي نفعله الآن.

ثم لمس مرفقها بيده واردف:

- لا تنسي ان تتركي لي تدبير الامور.

- لن انسى يا رورك.

وعدته وتساءلت لماذا تشعر بكل هذا الامان بين يدي رجل تزعم انها تكرهه؟

في الايام القليلة التالية بدأت تيشا تراجع افكارها وتتساءل عما اذا كانت قد اخطأت في الوثوق برورك ليجد طريقة تنقذها من الزواج الذي قرره ابوها... لقد اتبعت تعليمات رورك بدقة فانصاعت لطلبات ابيها جميعا بدون ادنى اعتراض. الآن يوم الخميس، وحتى هذه اللحظة لم يطرأ اي تغيير على موقف والدها سوى مضيه قدما في اتجاه تنفيذ الزواج.

لقد استعان بما لديه من نفوذ حتى اجريت فحوصات الدم بسرعة قياسية، وهذا الصباح حصل ايضا على رخصة الزواج. وهكذا بدأ الذعر يدب فيها وقد ادركت انها باتت على بعد خطوة واحدة من اجراء المراسم الفعلية. ثم ان كل محاولاتها للتحدث الى رورك على انفراد باءت بالفشل ومعظمها افشله ابوها.

وحتى بلانش التي كانت تعتبرها حليفة لها بدت وكأنها تتخلّ عن مساعدتها. وفي المرات القليلة التي استطاعتا التحدث على انفراد، أمطرتها عمتها بوابل من الاسئلة في ما يتعلق بمشاعرها تجاه رورك، هل هي متأكدة من انها لا تحبه بتاتا؟ هل ان انجذابها اليه لا يخفي تحته عاطفة حب قوية؟ وكان واضحا من نوع هذه الاسئلة ان بلانش تعتبر الزواج تحصيل حاصل.

وبدأت تيشا تتساءل بدورها... اذا كان رورك ينوي حقا ان يتخذ اجراء ما، فمن المفروض ان يكون انجزه قبل اليوم... لماذا هذا التأخير وماذا ينتظر وقد اتم ابوها الترتيبات وعيّن يوم السبت موعدا للزواج.

وهكذا سارت مثقلة القلب على الدرب الخاصة بالدواب عبر التل المشجر. وكان ابوها قد غادر البيت بعد الظهر في مهمة غامضة واملت تيشا في ان تجد رورك في بيته. لقد اختارت الذهاب عبر الغابة كي لا تفطن بلانش الى وجهتها الحقيقة. لكن هذه الدرب كانت اطول مما لو اتبعت الطريق العادية المختصرة، وهكذا عندما وصلت اخيرا الى بيت رورك لم تجده هناك. لقد تجشمت هذه المشقة بلا فائدة وفشلها زادها تعبا وضيقا وكآبة.

ولما رجعت ودخلت الفناء تحت بيت عمتها رفع العنز رأسه، وبعد ان القى عليها نظرة عابرة، خفض رأسه ثانية واكب على قضم العشب وقد اعتاد الآن على وجودها وما عاد يعترض على روحاتها وغدواتها.

وبدلا من ان تدخل البيت من بابه الامامي اتجهت رأسا الى باب المطبخ وهي تتساءل بوجوم عما اذا كان سيتاح لها ان ترى رورك هذه الليلة.

ولدى بلوغها المدخل الجانبي هذا، نظرت من زجاج الباب فرأت رورك جالسا مع بلانش الى طاولة المطبخ. امتدت يدها الى المقبض، لكن الانزعاج البادي على وجه رورك جعلها تعدل عن الدخول وتقرر الاصغاء

الى حديثهما.

وكان رورك يسأل عمتها:

- هل انت واثقة من قولها انها ذهبت فقط للتنزه؟

واجابته بلانش بطول اناة، ولكن وجهها المشرق عادة كان مكسوا بتعبير جدي واجم:

- اجل، اضافة الى ذلك ما تزال سيارتها هنا وكذلك ثيابها ولذا لا اصدق انها هربت.

لم تكن تيشا متأكدة مما توقعت ان تسمعه بعد ذلك، ربما توقعت تعليقا ما من شأنه ان يعزز شكوكها بانهم جميعاً كانوا يتآمرون على اتمام هذا الزواج، ولكن لم يبد عليها الا القلق على مصيرها والاهتمام بايجاد مكانها، وهكذا تنهدت باستسلام ثم فتحت الباب ودخلت عليهما.

نهضت بلانش بسرعة من مكانها وهتفت وهي تغتصب ابتسامة متألقة:

- ها قد عدت! كنا نتساءل الى اين ذهبت.

فقالت الفتاة بمرارة:

- خطر لي في بادىء الامر ان اقذف بنفسي من اعلى صخرة لكني لم اقدر ان اعثر على صخرة شاهقة، ثم فكرة ان اضيّع نفسي وسط الغابات الا اني كنت اعود دائما الى فناء دار شخص ما، وها انا اعود الى فنائك يا بلانش.

فغمغمت عمتها وجبينها تجعده تقطيبه قلق:

- لا تمزحي في امور خطيرة كهذه.

تنهدت الفتاة تعبا وقالت:

- آسفة يا بلانش، اعتبريها تصرفات حمقاء ناتجة عن توتر الاعصاب الذي يسبق موعد الزفاف.

ثم القت نظرة سريعة ومستاءة على رورك الذي كان يرقبها بتمعن، وسألته ساخرة:

- وكيف حال العريس العتيد؟

فأجابها:

- انه على احسن ما يرام بالنسبة الى الظروف الحاضرة.

لاحق تيشا بنظراته وهي تسير الى المنضدة المستطيلة حيث ابريق القهوة وتسكب لنفسها فنجانا. وقال لها بنبرة جازمة:

- اختاري كرسيا واجلسي عليه.

فصرخت فيه حانقة:

- لا ارغب في الجلوس!

كان الضغط يوتر اعصابها الى حدّ الاجهاد فيما بدا هو مسترخيا تماما تحملها ذلك تثور كبركان.

لم تخف عليها النظرة الخاصة التي رمق بها بلانش والتي نهضت واقفة على اثر وقالت:

- انكما ترغبان على الارجح في التحدث على انفراد. سأذهب لاتسلّى برشتي بعض الوقت.

وحالما سمعت باب الاستديو يغلق وراء عمتها، استدارت تيشا الى رورك وقالت والشرر يتطاير من عينيها الخضراوين:

- حسنا؟ العرس سيقام يوم السبت؟

فواجه نظرتها الملتهبة بهدوء واجابها:

- اعرف ذلك.

- اذا كنت تعرف فلماذا تقف مكتوف اليدين بدل ان تفعل شيئا؟

وبتمهل شديد نهض بطوله الفارع عن الكرسي وسار الى المنضدة الطويلة حيث تقف. ثم قال واشعة الشمس تراقص على خصلات شعره الذهبية:

- هذه ليست نهاية العالم.

- لم ينته بعد. . . لقد بدأت اتساءل اذا كانت لديك اية خطة كفيلة بانقاذنا من هذه الضيقة.

اجابها بصوت رقيق:

- ظننت انك كنت ستثقين بي.

فتطلعت رفته من حدتها وردت بصوت منخفض جدا استطاعت بالكاد ان تمرره عبر كتلة الالم التي سدت حلقها:

- كنت

- هل يعني هذا انك قد حجبت ثقتك عني؟

رفعت بصرها اليه وكان ذقنها يرتجف وهي تحاول كبح التعاسة التي اخذت تتجمع على صفحة وجهها وقالت يائسة:

- ما عدت اعرف شيئاً.
مال برأسه نزولا حين خفضت رأسها لتهرب من عينيه المتحريتين، وما استطاع لطفه ان يجعلها ترفعه ثانية فهمس بحنو:
- ما بك؟ ماذا جرى لتلك الفتاة الصغيرة ذات الشعر الاحمر والتي كانت تعرف دائما ما تريد؟ هل يعقل ان تعترف هذه الفتاة بنفسها بانها ما عادت تعرف كل شيء؟
- لا، لا اعرف كل شيء.
اقرت له وهي تتنفس بسرعة وعمق كي تمنع دموعها من السقوط، وعلى الرغم من جهودها تسللت دمعة من بين اهدابها وجرت على خدها.
فاتهمها رورك بلطافة:
- انت تبكين!
تهاوت دموعها الحبيسة الاخرى وهتفت غاضبة:
- اجل اني ابكي ولا اخجل من بكائي! وانت! لو كانت لديك ذرة من الرجولة، لقدمت لي كتفك ابكي عليها بدل ان تقف هناك وكأنك مثال الاستقامة والصلاح!
فقال معربا عن افكاره بلطف وهو يبسط ذراعيه صوبها ليجذبها اليه:
- لم يخطر لي انك قد تحتاجين الى كتفي.
قربها الى صدره الدافئ، فاحست بضربات قلبه تعيد الى نفسها الاطمئنان بطريقة غريبة. ثم مال برأسه على جبينها وغمغم متابعا:
- من جهة اخرى، لم ادر بالطبع انك ستلجأين الى الدموع. هيا، ابكي ما شاء لك البكاء يا تيشا، فقد حان الوقت لتتخلصي من بعض روادعك الكابحة لحرية التصرف والتعبير.
لم تحتج الى مزيد من التشجيع لتطلق العنان لدموعها وقد سمحت لنفسها فقط بان تفكر للحظة عابرة انها كانت تبلل قميصه وهي تحتمي بصدره العريض. وعندما انحسرت شهقاتها اخيرا وتحولت الى اصوات حازوقية، اخرج رورك منديله النظيف ومسح الدموع الفائضة عن خديها. وظل رأسها ملتحفا بصدره حتى جففت ما تبقى من دموع.
سألها بلطف:
- أتشعرين بتحسن؟

- نعم.
وافق جوابها بسمة ذابلة من شفتيها ورجته ان يبقيها بين ذراعيه لعلمها بانها حين تترك ملجأها الامين سيجتاحها ذلك الشعور الرهيب بالوحدة القاسية.
لبى رجاءها مسرورا واستطاعت ان تستشعر ابتسامته على شعرها وهو يحيطها بقوة مطمئنة.
وقالت له بعد صمت دام بضع دقائق:
- تعبت الى بيتك مشيا على قدمي كي اتحدث اليك.
- وانا جئت هنا لاراك.
ثم انزل احدى ذراعيه ليستطيع الوصول الى جيبه. وتابع:
- لدي شيء اردت تقديمه اليك.
وما لبث ان اخرج هذا الشيء واراها اياه، واذ به خاتم ذو حجر كبير من الماس المتوهج. ولما التقط سطحه المصقول اشعة الشمس وانعكست عليها كالوان قوس قزح متألقة، شهقت تيشا بابتهاج وسألت رورك هامسة:
- هل هو حقيقي؟
فرد ضاحكا:
- انه حقيقي جدا، ألمسيه فهو لن يختفي.
لكن سرعان ما خبا ابتهاجها الاولي. ثم ازاحت يده جانبا حين قرب الخاتم منها وقالت بحزم:
- كلا. هذا خاتم خطوبة. انه جميل لكن...
- لا تنسي ان والدك يتوقع ان تلبسي خاتم خطوبة.
فذكرته تيشا بدورها وبصوت لم يخل من خشونة:
- انه يتوقع ايضا حفلة زفاف.
- تعي بي يا تيشا.
نظرت اليه بحذر فاحست بدفء عينيه المركزتين على وجهها. اذعنت له على كره منها وقالت:
- حسنا، سآخذه. لكني سوف أعيده اليك حالما ننتهي من هذه المهزلة.
فزين اصبعها بالخاتم وقال:

- يمكنك ان تعيديه اليّ اذا شئت او ان تحتفظي به كتذكار.
- ليس من اللباقة ان احتفظ به.
قطر الخاتم ناسب اصبعها تماما مع انه كان ضيقا قليلا، ولم تملك الا ان تتأمل وهجه باعجاب كلما حركت يدها. واردفت تقول:
- ما كان يجب ان تبتاع خاتما ثمينا كهذا. ماذا ستقول اذا ضاع مني؟
فابتسم محيبا:
- لقد طلبت الى الصائغ ان يضيقه قليلا ليصعب عليك نزعه من اصبعك اذا خطر لك ان تقذفيه علي في احدى ثوراتك العصبية.
فغمغمت وهي تنسحب من بين ذراعيه بارتباك:
- لا احسبني سأفعل ذلك.
- اوه نعم، قد تفعلين.
وفجأة قطبت حاجبيها بقلق فخبا الوهج على محياها وسألته:
- رورك، ماذا ستفعل بشأن يوم السبت؟
- اتركي لي كل شيء.
- نعم، لكني...
- لا تقلقي. سأهتم بكل التفاصيل وثقي ان النتائج ستكون في صالحنا.
فعلقت متنهدة:
- ليتني اعرف ما تنوي فعله.
- الآن سوف اعود الى بيتي. اما انت فكفي عن القلق والتفكير.
ثم لمس انفها باصبعه وكأنه يداعب طفلة عنيدة واتجه الى الباب قائلا:
- بلغي بلانش شكري على القهوة.
- متى سأراك؟
توقف عند الباب واستدار اليها ليحتويها بنظرة حانية اثارت في قلبها خفقانا سريعا واجابها باختصار.
- غدا.

٩ - خدعوك يا عروس!

بعد ظهر اليوم التالي اشرفت الساعة على الثانية والنصف بدون اي ظهور اي اثر لرورك. لقد خيل لتيشا بطريق ما انه حين قال لها انه سيراها غدا، كان يقصد المجيء بعد الظهر. امضت الوقت تتعلق بامل واه بان يصل قبل عودة ابيها من مهمة اخرى من مهماته الغامضة التي تلاحقت في خلال الاسبوع، لكن املها خاب اذ سمعت والدها يحيي عمتها وهو يدخل البيت، وادركت ان رورك اذا لم يأت سريعا فلن تجد فرصة بعد ذلك لتراه على انفراد.

تمنت الآن لو انها ألحت عليه امس اكثر لتعرف الخطة التي ينوي انتهاجها لتأجيل الزفاف. لقد وثقت به تماما قبل اربع وعشرين ساعة وانصاعت لاسلوبه الساحر المغري بأن يقنعها بتسليمه زمام المبادرة في حل المشكلة قبل فوات الاوان... اما اليوم فقد عنفت نفسها على غبائها السابق اذ الامر يتعلق بمصيرها ومن حقها الاطلاع على كل ما يجري.

الماسة الكبيرة على اصبعها توهجت كالنار بفعل اشعة الشمس المتسربة من نافذة الاستديو العالية، واجتاحت ظهرها رعشة باردة اذ ذكرها خاتم الخطوبة باقتراب ساعة الصفر، واحست في داخلها ضجيجا وكأن مجموعة من الفراشات كانت تتخبط فيه وترتطم اجنحتها بجدرانه. غداً سوف يتم زواجها الا اذا قرر رورك في اللحظة الاخيرة ان يتخلف عن الحضور كليا. وفكرت بخوف يائس، ربما هذا ما كان يخطط له! لكن فعلة كهذه من شأنها ان تثير جنون ابيها ورورك يبدو عاكفا على ارضائه بكل وسيلة ممكنة. ليتها تعرف فقط اية خطة يدبر!

وفجأة تناهى اليها سؤال ايقظها من شرودها:
- ماذا كانت عروستي الصغيرة تفعل اليوم؟ مكبة على العمل؟
لدى سماعها صوت ابيها استدارت تيشا من امام اللوحة البيضاء التي لم تقدر ان ترسم عليها شيئا. كان وجهه الوسيم الباسم يتطلع اليها من باب الاستديو وقد بدا يشبه كثيرا وجه صبي كبير يضج قلبه بسر مفرح يتلهف الى البوح به. ومع ذلك ما استطاعت ان ترد على بهجته الا بابتسامة حزينة. وقالت تدعوه بصوت خال تماما من العاطفة:
- ادخل يا بابا. انا لا افعل شيئا في الواقع.
- لا، تعالي انت هنا. لدي شيء اريد ان اريك اياه.
ارادت تيشا ان ترفض لكنها لم تجد اي فائدة من ذلك. تبعته مترددة وهو يسير امامها الى غرفتها فيما هي لا تشعر باقل اهتمام بالشيء الذي اصر على ان تراه. وسألها برقة:
- لم تجدي اليوم رغبة في العمل، أليس كذلك؟
- اجل.
فطمأنها بقوله وهو يفتح الباب الى غرفتها:
- لا بد هي شعور الاحباط يسيطر عليك، وما هو الا نتيجة طبيعية لتوتر الاعصاب الذي يسبق يوم الزفاف.
كانت تحس صداعا عنيفا ولذا اجابته بنبرة حادة:
- ارجوك بابا، لا اريد الخوض في هذا الموضوع.
تجاهل حدتها ولوح بيده فجذب انتباهها الى علبة كبيرة كان قد وضعها على السرير. قال:
- ابتعت لك هدية ارجو ان تعجبك.
فحدقت اليها تيشا بصمت متجمد لان حجمها اوحى بوجود فستان في داخلها. صرّت على اسنانها بشدة لعلمها بانها اذا فتحتها ورأت فيها فستان عرس فسوف تصرخ لا محالة. حثها بلطف على التقدم وقال:
- هيا، افتحي وافتحيها.
فسارت الى حيث السرير كالنائمة، وباصابع مرتجفة راحت تفك رباط العلبة بتمهل وهي تحاول استجماع شجاعتها على رفع الغطاء الكرتوني. وبعد ان اختلست الى ابيها نظرة رفعت غطاء العلبة وازاحت الورق

الشفاف عن الهدية. بدا عليها الارتياح لما رأت الزهور الزرقاء الصغيرة منثورة في باقات على قماش الفستان الناصع البياض. وهنا تملكتها حماسة اكبر فرفعت الثوب والصقته بجسمها فيما انسدل كمّاه الطويلان والشفافان على ذراعيها.
طبعت قبلة رقيقة على خد والدها الحليق وهمهمت:
- انه جميل جدا يا بابا. شكرا لك.
كان هناك حب عميق وعظيم يشع من عينيه مما جعلها تشعر بتأثر بالغ يسد حلقها. امسك يديها واخذ يحدق الى اصابعها وكأنه هو ايضا في حاجة الى لحظة صمت ليضبط عواطفه في خلالها. ازاح العلبة الفارغة الى مؤخرة السرير ثم جلس على حافته وقال وهو يربت على الغطاء الى جانبه:
- اجلسي يا تيشا. اعتقد ان الوقت قد حان لنتحدث معا حديثا خاصا.
فمددت الفستان بعناية على وسائد السرير وجلست الى جانبه على الحافة. حاولت ان تتكهن بالشيء المهم الذي يود التحدث عنه وشعرت نتيجة لذلك بشيء من الرهبة السابقة... غطى قبضتها المتقلصة على حضنها باحدى يديه واحاط كتفيها بذراعه الاخرى لقربها منه.
حدق برقة الى وجهها المتسائل وافتر فمه عن ابتسامة حب هادئة وقال:
- لا استطيع ان اتذكر آخر مرة اعربت لك فيها عن مبلغ حبي لك. ربما هذا شيء ليس من المفروض ان يقوله الآباء لاولادهم لانهم يعتبرونه تحصيل حاصل على ما اظن. لكني اردت ان اقوله بصوت عال... لاردتك ان تعرفي الى اي مدى انت عزيزة على قلبي.
طفرت الدموع الى عينيها وهمست حين شدها اليه بضمة عطوفة:
- اوه، بابا، انا احبك ايضا!
ومضى ابوها يقول بذلك الصوت الهادىء الحالي:
- عندما ولدت وعلمت وامك من الطبيب انها لن تستطيع انجاب اطفال آخرين شعرت لذلك بانها تخيب آمالي من حيث عجزها عن اعطائي طفلا ذكرا، ولا اعتقد اني استطعت اقناعها باني كنت مكتفيا تماما بالطفلة الصغيرة التي اثمر عنها حبنا. اوه، كنت اريد صبيا كما يتوق كل رجل الى انجاب ابن. لكن هذا لم يجعلني ابدا اضعك في المرتبة الثانية بل كنت دائما حبة قلبي يا حلوتي.

طمأنها ابوها وهو يمسد رأسها المرتكز الى كتفه وتابع يقول:
- لو كان بامكاني ان استبدلك بطفل ذكر في اللحظة التي ولدت فيها لما كنت رضيت بذلك الاستبدال. هل تصدقيني؟
- اجل.
جوابها البسيط هذا محا التقطيبة الصغيرة التي كانت تجمعت على جبينه. وأردف قائلا:
- اردتك دائما ان تكوني سعيدة لكني اشعر احيانا باني عجزت عن اتباع السبل السليمة لتأمينها لك. وكانت هناك مرات عديدة كان ينبغي ان اكون فيها اكثر تفهما لاحاسيسك ومطالبك. وعذري في هذا التقصير اني لم اكن خبيرا في تربية الاولاد.
وهمست تيشا بحرارة:
- لو كان بامكاني انا ايضا ان استبدلك بشخص آخر لما رضيت باي اب سواك.
وتابع ريتشارد يبثها افكاره ومشاعره:
- في الأيام القليلة الماضية اتيحت لي عدة فرص للتحدث مع رورك وحيث ابدى قلقا شديدا لكوني اعجل عليك بالاقدام على خطوة مهمة لم تستعدي لها بعد.
انحبست انفاس تيشا تلقائيا وتساءلت، هل هذه هي اللحظة المنشودة؟ هل سيوافق ابوها الآن على ان يمدد خطبتها لبضعة اشهر كما اقترح رورك سابقا؟
وعاد ابوها يقول:
- يوم الاحد الماضي. تركت المجال لعصبيتي بان تتغلب على صوابية حكمي واتزانه اذ لم يسيطر علي وقتها الا اهتمامي الشديد بمصلحتك. وعندما فتر غضبي بدأت اراجع افكاري واشك في اني قد تصرفت بحكمة اذ كان ينبغي علي ان اتروّى قليلا. لكن بعد ان تحدثت الى رورك وادركت مدى اهتمامه بتفضيل سعادتك على اي شيء آخر صارت لدي قناعة بان صلاحيته كزوج لك هي اكثر بكثير مما كنت اتوقع، او بالاحرى مما كان يحق لي ان اتوقعه في ظروف كهذه.
وهنا شعرت بقلبها يهوي الى ركبتيها. الخطة قد فشلت والعرس سيقام

في موعده المقرر! ارتفعت الى حلقها الف صيحة احتجاج الا انها لم تقدر اي منها ان تهرب من بين شفتيها المطبقتين بشدة، وخيل اليها ان رأسها فرغ من الافكار إلا من فكرة واحدة، يجب ان تخبر رورك ان خطته قد فشلت. ليس امامها الا بضع ساعات قصيرة ليطلعا خلالها بخطة اخرى.
واعادها ابوها الى ارض الواقع سائلا اياها بلطف:
- هل انت غاضبة مني كثيرا لاني اجريت كل الترتيبات الخاصة بالعرس من دون ان استشيرك؟
فأجابته بصدق:
- لا.
ما الذي يدعوها الى الاهتمام باحتفال لن يقام ابدا، ما دامت ستمنع حدوثه حتى لو اضطرت الى الهرب؟
لم ينتبه ريتشارد للهواجس التي تراكمت في ذهنها واستطرد يقول:
- عندما تزوجت امك اقمنا للمناسبة عرسا ضخما حاشدا. كانت ابنة وحيدة مثلك وقد اصر ابواها على الاحتفال بزواجنا بشكل موسع فدعيا اليه جميع افراد العائلة من جدات الجدات والاخوال والاعمام وابناء الاعمام واستمر الاحتفال طوال النهار وطوال الليل على الارجح لكننا تسللنا هاربين قبل ان ينتهي.
توقف عن الكلام وغشيت عينيه نظرة بعيدة المدى مع ذكرى ذلك اليوم البعيد. وبعد لحظات اكمل الحديث بصوت منخفض ورقيق الى حد لا يصدق:
- هربنا بالسيارة طبعا، وعندما قطعنا مسافة طويلة اذكر ما قالته لينور بانها تتمنى لو ان الاحتفال لم يحدث ابداً... ذهلت لكلامها بادىء الامر اذ حسبتها تندم على زواجها مني لكنها سرعان ما شرحت لي انها تعتبر حبنا نعمة غالية من نعم الله، وعاطفة خاصة جميلة لا يليق بها ان تعرض على الناس بهذا الشكل الصاخب المبهرج. ثم اخبرتني والدموع تملأ عينيها انها تتمنى لو اقتصر الاحتفال فقط على وقوفنا نحن الاثنين لوحدنا امام رجل الدين وبدون كل هؤلاء الناس المتجمعين حولنا، لنتبادل بهدوء وخشوع عهودنا المقدسين لبعضنا البعض في بيت الله. كنا نمر في بلدة صغيرة وهي تقول هذا وصادف ان رأيت لحظتئذ معبدا متوهجا بالانوار فتوقفنا امامه.

وهكذا اقسمنا مرة ثانية على تبادل الوفاء والمحبة لمدى العمر امام رجل دين مهيب الوجه هادىء النبرات، وحيث كان الليل الساكن يردد صدى تلك الكلمات الخاشعة الوقورة. . . لن انسى ما حييت وجه امك المتهلل آنذاك كما لن انسى ابدا عصر تلك الليلة العابقة بالفرح الحقيقي العميق. . . لقد احببنا بعضنا حبا عظيما لا تستطيع الكلمات ان تعبر عنه يا تيشا.

تقصف صوته حين اخذ وجهها بين يديه محدقا اليه وفي عينيه حزن بالغ الحدة. ثم غمغم بصوت متهدج:

- ولهذا السبب، يا ابنتي الحبيبة الغالية، سيكون الاحتفال بزواجكما، انت وروورك، في غاية البساطة. . . ليس لاني اريد اخفاء شيء او لاني اتعمد تزويجكما بسرعة، بل لان المرة الثانية التي تعاهدت فيها وامك على الحب كانت الاحتفال الحقيقي بالنسبة الينا والذي حافظنا على ذكراه ككنز ثمين، ولذا اريد لك الاحتفال نفسه وبدون اية ذكريات تافهة اخرى تقلل من قيمته.

ادارت وجهها المحاط بيديه المتأثرتين بالذكرى وطبعت قبلة احترام على كفه وقد عصف بها تيار من العواطف المتناقضة المتشابكة. كيف يمكنها الآن ان تعترف له بالحقيقة؟ كيف يمكنها اخباره انها لا تستطيع المضي في الاحتفال الذي خطط له؟ وقالت بصوت بدا مختنقا لان محياها لم يفارق يديه:

- هذه اول مرة اعي فيها تماما مدى حبك العظيم لامي.

فضمها الى صدره وهمس محيا:

- كانت تبادلني ذلك الحب نفسه. تيشا، في خلال هذا الاسبوع رأيتك عدة مرات مع روورك وفي كل مرة كانت هذه الرؤية تذكرني بحب امك لي بشكل مشرق وكأنما التاريخ يعيد نفسه. فعندما يكون قريبا منك لا تزيحين بصرك عنه ولا تتوقفين عن بعث رسائل صغيرة اليه كما كانت لينور تفعل معي تماما. اراهن على انه لم يخطر لك ان اباك العجوز يلاحظ اشياء كهذه. هل خطر لك ذلك؟ لقد ادركت ليلة امس ان السبب الاكبر وراء عدم رغبتك في الزواج منه، او قولك بانك لا تريدين الارتباط به، يعود الى السرعة الهائلة التي يحصل بها كل شيء، وكأنكما فعلتما شيئا في نهاية الاسبوع الماضي يدعو الى الخجل. لكني واثق من انكما لم تفعلاه.

فهمست تيشا بصعوبة:

- ماذا؟

- انت ما كذبت عليّ مرة يا حلوتي، كذلك لم تكذبي عندما اخبرتني انه لم يحدث بينكما شيء. لقد تأكدت بنفسي من ان روورك يحترمك كثيرا والى حد ردعه عن استغلال الموقف، وحيث كان بالامكان ان يفعل لولا حبه واحترامه لك. . . انا مسرور لأنك انتظرت. ادرك ان كلامي هذا يبدو شديد التزمت لكني مسرور جدا. اتذكرين تفاصيل شجارنا قبل اسبوعين؟

ضحك بصوت منخفض ثم رفع وجهها لينظر اليه وتابع قائلا:

- يبدو الاسبوعان كأنهما شهران واكثر لكني اذكر كلامك تماما، فقد قلت لي انني لن اعجب ابدا بالرجل الذي ستتزوجين منه، وبأني سأجد فيه علة ما بكل تأكيد! كنت مخطئة يا عزيزتي. فروورك انسان رائع من كل الوجوه ويطابق تماما الرجل الذي تمنيته زوجا لك، وانت لو بحثت في العالم طولا وعرضا لما امكنك ايجاد شريك حياة افضل منه. . . لن يكون لدي فقط ابنة احبها بمجامع نفسي وقلبي بل صهر ايضا اكن له الحب ذاته، ولذا اعتبر نفسي من اكثر الآباء حظا بهذا النصيب.

لم يسمع تيشا الا ان تشخص اليه بذهول اخرس. . . انها لا تصدق اي شيء من هذا يحدث معها بالفعل وان واقع الامور ينقلب عليها بهذا الشكل. لقد قطع عليها ابوها كل حوار وبدت طريق الاعتراض مسدودة من كل الجهات، فشعرت بالتالي ان ذهنها يرفض التفكير.

ألقى ريتشارد نظرة خاطفة على ساعته وقال وهو يمرر اصابعه في شعره:

- تمضي الوقت اثناء حديثنا بحديث فلم انتبه لمروره السريع. ينبغي ان تكون في المعبد في خلال خمس واربعين دقيقة، وانا لم اترك لك فرصة لتجربة الفستان لترى اذا كان حجمه مناسبا لك.

تجربة الاحتفال التي تسبق الاحتفال الرسمي بيوم! تذكرتها تيشا بحزمة وهي تنهض من مكانها. على الاقل روورك سيكون هناك وستجد الفرصة المنشودة لتنفرد به بضع لحظات وتطلعه على موقف ابيها الجديد.

تناولت الفستان عن السرير وتلمست قماش تنورته الوارفة.

سألت والدها بتردد:

- هل... هل تريدني ان ارتدي هذا؟

فرد مبتسماً:

- لا اعتقد ان المطلوب سيكون لائقاً شكلاً مناسبة. ايمكنك ان تجهزي نفسك في خلال ربع ساعة؟

فاجابته باختصار:

- نعم.

وفيما هي ترتدي الثوب شاردة راح ذهنها يسترجع كلمات ابيها مرة تلو المرة... ان تعبيره المؤثر عن حبه لها، حرّك فيها شجوناً كامنة مع انه بدا كمصيبة بالنسبة الى وضعها وحيث انخفض عدد الخيارات الى خيار واحد هو الهرب... مأساتها محرجة وتكمن في ان اباها كان مقتنعاً تماماً بانها تحب رورك.

من ناحية اخرى، لم يخطىء ريتشارد حين قال انها لا تزيح بصرها عن رورك، فقوة شخصيته تجعل حضوره يهيمن على المكان الذي يكون فيه. لكنها اقنعت نفسها بانها تنظر اليه هكذا لكونه وعدها بايجاد مخرج من هذه الورطة! هو ايضاً كان واقعاً في مصيدة الزواج منها، وهذا القاسم المشترك بينها هو الذي يربطهما معاً وليس الحب الذي لاحظه ابوها في عينيها.

أضافت الى جفنيها لمسة من الظلال الزرقاء القاتمة لتبرز خضرة عينيها، وتراجعت الى الوراء قليلاً لتتأمل شكلها العام في المرآة الصافية. لقد اضفى التوتر على وجهها مسحة نجومية سماوية مع ان اعصابها كانت تعقد عضلات معدتها حتى كانت تضغط عليها بيديها لتخفف عنها الالم...

كانت تدرك في اعماقها ان الفستان بدا رائعاً عليها بشكل خاص لكن معظم افكارها اتجهت الى الابتهال والطلب الى الله بان يكون رورك قد توصل الى حل لمشكلتها الخطيرة.

ولما دخلت غرفة الاستقبال لاحظت بنصف وعي ان اباها قد بدل ثيابه العادية ببزة رسمية انيقة وان بلانش كانت معه وتبدو انيقة جداً بتايور احمر اللون.

وقال ابوها باخلاص بالغ:

- تبدين جميلة يا تيشا!

اومأت برأسها تشكره على مديحه، ولكن فكرة واحدة كانت تستحوذ

على نفسها وذهنها، وهي وجوب رؤية رورك باسرع وقت ممكن، وعبرت عن هذه الفكرة بقولها:

- يجب ان نغادر فوراً والا تأخرنا عن الموعد.

الا ان الرحلة القصيرة الى هوت سبرينغز بدت وكأنها لن تنتهي ابداً، ولو انها اضطرت لمجاراة عمتها ووالدها في حديث عادي لبدا المشوار اكثر صعوبة واستحالة، لكنهما لم يتكلما لحسن الحظ بل لم يعلقا على صمتها.

احست بان ساقيها لن تقويا على حملها حين دخلت ردهة المعبد الخالي وابوها يتأبط ذراعها. تلفتت حولها بلهفة تبحث عن وجه رورك وهي تعلم انه موجود هنا في مكان ما لانها رأت سيارته في الخارج لدى وصولهم الى الباحة. ولذا لم تلحظ اباها حين استدار الى بلانش وتناول منها شيئاً وفجأة رأته يقترب منها ويطرح على شعرها وشاحاً مخرماً.

نظرت اليه بنفاد صبر وقالت محتجة:

- لا داعي لان اغطي رأسي بشيء، هل انا مضطرة الى ذلك؟

فأجابها بهدوء وهو يلف ذيلي الوشاح الطويلين حول عنقها وكتفيها:

- يجب ان تلبسي شيئاً على رأسك.

ثم تأبط ذراعها مجدداً وغمز لها ليعيد الاطمئنان الى نفسها. وفي تلك اللحظة فتحت ابواب المعبد الداخلية، فواكبت خطواته بلا تردد وعبرت معه الى الداخل وهي تفكر بعصبية بانها كانت تفضل رؤية رورك قبل تجربة الاحتفال وليس بعدها. وما ان سارا خطوتين على المشى الطويل حتى رأت رورك يقف عند المذبح ينتظر قدومهم مع رجل الدين. كانت في عينيه نظرة غريبة مركزة كادت تثني ركبتيها المرتجفتين فتقلصت اصابعها حول ذراع ابيها وهي تحدق الى تعبير وجهه الخاشع.

اجتاحها ذعر كاد يفقدها صوتها وهمست لوالدها تسأله مرتعبة:

- هذه... هذه ليست تجربة للاحتفال، أليس كذلك؟

شعرت به ترتجف فسحب ذراعه المتأبطة ذراعها واحاط بها خصرها وهو يتقدم بها بثبات على المشى في اتجاه رورك، واجابها بتأكيد وكأنها من المفروض ان تكون على علم بذلك منذ البداية:

- بالطبع. هذه ليست تجربة.

تطلعت الى رورك بنظرة خائفة متسعة تشابكت فوراً مع نظرته الرقيقة

والمشوبة بحدية خفيفة. وحين وصلا مكانه وتسلم يدها المرتجفة من يد ابيها لمحت في عمق عينيه الداكنتين ما يشبه الاعتذار.

وسرعان ما احاط خصرها بذراعه ليساعدها على الوقوف بثبات، وكأنه احس مثلها بان ساقيها المرتعدتين ما عادتا تقويان على حملها.

انفرجت شفتاها استعدادا للكلام ولكي توقف هذا الاحتفال بأية وسيلة لكن رجل الدين كان قد شرع في اداء المراسم بقوله:

- ايها الاحباء، نحن...

لقد فات الوقت... استقرت هذه الحقيقة في قلب تيشا وهي تصغي الى الكلمات التي كانت تربطها الى الرجل الواقف الى جانبها برباط الزواج المقدس. وبرأس منحن وجفنين مسدلين أعلنت تعهداتها الزوجية وكان صوتها خافتا بالكاد يسمع. وفقط عندما نطقت الكلمتين الاخيرتين رفعت رأسها لتنظر الى وجه رورك. كان زجاج النوافذ الملون يعكس اشعة الشمس على رأسه فتزيد خصلات شعره الذهبية توهجا ولمعانا، وكانت عيناه تتابعان تحركات شفتيها وهي تعاهده بخشوع على الحب والاخلاص كزوجة.

ثم جاء دوره ليعلن تعهداته المقدسة، فاحست بوقع صوته الواضح الرنان يتماوج في داخلها ويزيح العصابة السابقة عن عينيها ويتيح لها ان ترى تدفق الشمس الذي انطلق دافئا متوهجا من حنايا قلبها. وفي تلك اللحظة، ادركت تيشا، وبثقة مرعبة تقريبا، انها تحب رورك بكل كيانها، وبكل خفقة صاخبة من خفقات قلبها الموله به وحده.

لم تكن تنتمي اليه فقط من خلال ارتباطها الشرعي بل من خلال رغبتها العارمة في ان تكون له بكليتها وان تشاركه كل مرافق حياته وتنجب له اولادا، وان تبقى بين ذراعيه حتى تدركها الشيخوخة معا.

ولبرهة قصيرة كادت تيشا تعتقد ان رورك يشاطرها رغباتها هذه نفسها حتى تذكرت تصريحه السابق بعدم رغبته في الزواج منها وذلك حين قال بانه لا يريد زوجة شرسة تكبل عنقه لسائر ايام حياته... اذن، ابوها هو الذي ساقهما معا الى هذا الاحتفال، ورورك اضطر الى الاقتران بها ليحول دون حدوث فضيحة... كيف يمكن لأي زواج ان ينجح ويستمر في ظروف كهذه؟ لا يمكنه ان ينجح... اجابت على السؤال بنفسها... صحيح

انهما سيعيشان كزوجين بحكم الشرع لكن حياتهما لن تكون طبيعية ولا بد ان يسعى رورك الى تغييرها في اقرب وقت ممكن.

وجاء صوت رجل الدين يختتم المراسم وكأنه يتكلم عبر مسافة شاسعة:

- من خلال السلطة المنوطة بي، اعلن الآن انكما اصبحتما زوجين شرعيين. ايها العريس، يمكنك الآن ان تقبل العروس.

اسدلت تيشا اهدابها لتغمض عينيها، لان الالم في داخلها كان حادا جدا والى درجة لم تستطع معها ان تتحمل رؤية الاستسلام الذي لا بد ان يكون مرتسما على وجه رورك وهو يستدير اليها. كانت قبلته خالية تماما من الحماسة ولم تجد فيها شيئا من الدفء الذي اعتادت ان تستشعره. كذلك لمسته كانت فاترة ومنضبطة كما لو انه يحس نفسه مرغما على تنفيذ تعليمات رجل الدين.

وبحواس متخدرة، تناهت اليها كلمات التهنئة التي كانت توجه الى عريسها، وفكرت في نفسها، لا بد انه يتقبل هذه التهاني في مرارة مثلما تقبلني انا كزوجة غير راغب فيها. ثم عانقها ابوها ووجهه يطفح بشرا، لكن لا عناقه ولا فرحه استطاعا النفاذ الى روحها التي خيل اليها انها اصبحت جثة بلا حراك، وكذلك الامر بالنسبة الى تمنيات عمتها الخاصة بان تسعد هي ورورك في حياتها الزوجية.

ثم مدت يدها ولمست ذراع عريسها من خلال كم بزته السوداء. لم تكن قد وجهت اليه نظرة واحدة منذ تلك اللحظة التي وعت فيها مبلغ حبها له، ولكنها نظرت اليه الآن، وكان وجهه حين استدار اليها ذا تعبير جدي يشوبه شيء من الحذر.

قالت له بصوت اجش ومنخفض جدا مما اضطره الى احناء رأسه كي يسمعه:

- ارجوك... دعنا نخرج من هنا.

فاجابها باقتضاب:

- سنخرج فورا.

وفي خطوات معدودات ابتعد بها مسرعا عن ابيها وعمتها وهبط وإياها المدرج ثم توجها الى حيث اوقف سيارته. وهنا اجتاحتها رغبة يائسة في ان تهرب منه الى الجهة المعاكسة لكنها كبحت رغبتها واقنعت نفسها بانها

مضطرة الى مواجهته ان عاجلا او آجلا. فوق كل شيء ينبغي ان تقنعه بان هذا الزواج قد فرضه ابوها عليها مثلما فرضه عليه، وبالتالي هي لا تقل عنه رغبة في عدم الاستمرار ما دام كلاهما لا يريد الآخر زوجا له. هذا ما يجب ان تفعله لأن كرامتها لن تسمح لها باستعمال رباطهما الزوجي كسلاح للاحتفاظ به.

وسألها رورك وهو يجلس خلف المقود:

- لم تكوني على علم بان والدك قد طلب تغيير موعد الزفاف ليكون اليوم بدلا من الغد، أليس كذلك؟

فأجابته باختصار والألم يجرح صوتها:

- لا. لم اعلم باكثر مما علمت انت.

ألقى عليها نظرة متسائلة ثم ادار محرك السيارة وقال:

- نحن متزوجان الآن.

فهتفت بمرارة:

- انه زواج مهزلة وانت تدرك ذلك!

ركز بصره على السير المزدحم حولهما ثم استوضحها:

- اذن ماذا تقترحين؟ ان نسارع الى الغائه؟

- انه بالتأكيد الحل المطلوب.

- احقا هو كذلك؟

فغمغمت بغضب وهي تنزع الوشاح المخرم عن رأسها:

- ما كان ينبغي ان اصدقك بتاتا، ولو اني لم اصغ الى كلامك ووعودك لما وقعنا في هذه الورطة.

واضافت قائلة في نفسها:

- ولما اكتشفت ربما اني احبك، ولتحاشيت بالتالي هذا العذاب المحطم لقلبي.

وسألها زوجها بهدوء:

- هل من عادتك البكاء على الخسارات البسيطة؟

فردت محتدة:

- لست غبية الى درجة الاعتقاد بان الامور السيئة تنقلب دائما الى الاحسن.

فاجابها بطول اناة:

- انها تنقلب الى الاحسن اذا اتحت لها المجال لذلك وحيث تحولين الشيء اللامفيد الى شيء مفيد.

- قد ينطبق هذا على الاعمال التجارية، لكن قل بربك، كيف تحوّل زواجا غير مرغوب فيه الى زواج مرغوب؟

فوافقها قائلا:

- هذا يبدو مهمة مستحيلة.

وهنا انعطف بالسيارة الى مرآب احد الفنادق فسألته بنبرة حذرة:

- لماذا جئت بي الى هنا؟

سخرت عيناه من صوتها المتخوف وقال بهدوء هازىء:

- لم اشأ ان امتحن طهوك هذه الليلة لان المزاج الاسود الذي يسيطر عليك قد يحملك على محاولة تسميمي. اضافة الى ذلك، ان المشكلات تبدو دائما اقل تعقيدا عندما يكون المرء شبعانا.

لم تجد في مقولته اية دعابة، فاعترفت قائلة:

- انا لست جائعة.

فتجاهل عنادها وقال:

- ستتناول شرابا قبل الطعام، يبدو انك اصبت بصدمة قوية لكونك اصبحت السيدة ماديسون وقد يخفف الشراب من حدة هذه الصدمة وبالتالي تعود اليك شهيتك المفقودة.

- تقصد اني مصابة برعب وليس بصدمة.

فابتسم رورك بحاجب مرفوع وعلق مازحا:

- ارأيت؟ لقد بدأ مزاجك في التحسن. فكلما شرعت في اعاقتي، اطمئن الى عودة الامور الى طبيعتها.

لم يعد هناك اي شيء طبيعي بالنسبة اليها، فكرت تيشا بأسى وهي تراقب رورك يترجل من السيارة ويدور حولها من الامام ليفتح لها الباب... هناك فقط سماء وجحيم وليس بينهما سوى التعاسة... اذا اعترفت تخشى العواقب وان صمتت تخشى العذاب! عليها اذن ان تخفي حبها عنه وتحافظ عليه كما تحافظ الوردة على نفسها بسلاح شوكها، اجل، بامكانها ان تخفي هذا الحب عنه خلف لسانها اللاسع، فهو خط الدفاع الوحيد الذي تبقى لها واذا تحصنت جيدا وراءه تمنع نفسها من الارتقاء على

قدميه والتوسل اليه بان يدعها تعيش معه الى آخر ايامهما، وحتى ينجبا الاولاد ويربيا الاحفاد ويشيخا معا امام ذلك الموقد المستعر في غرفة نومه.

كان يقف عند بابها الذي فتحه، ويمد لها يده ليساعدها على الترجل من السيارة كسيد مهذب لكنها تجاهلت هذه البادرة وترجلت بسرعة وسألته بسخرية:

- هل خطط لنا ابي ايضا، كيف واين نقضي شهر العسل؟

فرد روزرك بهدوء تام:

- بل ترك لنا هذا الخيار . . . كان لدي انطباع بانه حسبنا نحب بعضنا كثيرا والى درجة اننا لن نهتم بالمكان الذي سنكون فيه بل باجتماعنا نفسه.

فاطلقت ضحكة حادة مرة واجابت:

- صحيح، اننا لن نهتم بالمكان شرط الا يجمعنا سوية.

وفجأة اعتقل ذراعها بيده وغرز اصابعه فيها وقال بصوت كالح:

- سيكون ذلك صعبا بعض الشيء بحكم الظروف الراهنة. ألا توافقيني رأيي؟

رأت في عينيه تحذيراً خفيا لكنها لم تأبه له وردت بتحد:

- لا موجب لان يكون صعباً . . . بامكاننا ان نقضي شهر عسل عصري وحيث تذهب انت في طريقك وامضي انا في طريقي.

فاسدل على وجهه الغاضب قناعا ساخرا وسألها هازئا:

- وهل يطاوعك قلبك على ترك زوجك ينام بمفرده في ليلة عرسه؟ الا تخجلين من نفسك يا حمراء؟

فاحست بتخدير مرعب يشلها لكنها تمالكت خوفها وقالت تراوغه:

- أبهذه الطريقة تنوي ان تحول مساوىء زواجنا الى حسنات؟ هل انت عازم على مطالبتي بحقوقك الزوجية؟

فمرر بصره بحميمية على جسمها واجابها بصوت مخملي:

- لقد خطرت لي هذه الفكرة.

فشعرت بكل عروق جسمها تنبض بحرارة وحشية فسارعت تقول بعزم:

- اذن انس هذه الفكرة!

فذكرها قائلا بلطف:

- في الاسبوع الماضي ابديت نحوي رغبة مخالفة لهذه، فما سبب هذه التوبة الفجائية من تقريع الضمير وقد اصبح محللا لنا هذا التلاقي؟

عبق وجهها بلون قرمزي . . . وقالت بتصميم ارجف صوتها:

- مهما طال امد زواجنا فسوف يبقى . . . اسميا فحسب.

- الآن وقد تزوجنا، ما عدت تجدينني جذابا، أليست هذه الحقيقة؟

- كلا.

خرج النفي من بين شفتيها قبل ان تتمكن من ايقافه. فقال:

- اذن، هذا يعني اني ما زلت اجذبك؟

- نعم . . . اعني لا!

فسألها وعيناه تلتمعان بمرح مغرور:

- ماذا تقصدين بالضبط؟

احست بما يشبه الاختناق فقالت بصعوبة:

- انا . . . اقصد . . . ان هذا الزواج المهزلة يجب ان ينتهي. انه . . . مثال الزيف والخداع؟

- هذا يعني انك لا تريدين شهر عسل في برمودا؟

- كلا. لا اريد ذلك.

- اعتقد اذن ان الخطوة الاكثر منطقية هي ان نعود الى البيت فور انتهائنا من تناول الطعام. هل توافقين؟

بدا فجأة عازفاً عن مجادلتها وقد سرها هذا لأن اسئلته الماكرة بدأت تدك تصميمها على الا تجعل من زواجهما مهزلة مستمرة.

واجابته مع ايماءة تأكيدية:

- موافقة تماما.

١٠ - وفشل الاتفاق!

لم تعرف تيشا هل انها استعادت شهيتها للطعام بالفعل ام انها تقصدت صرف وقت طويل في تناول كل صنف كي تؤجل مواجهة تلك اللحظة المحتومة التي سوف يختليان فيها. امتد بينهما الصمت ولم يكن مريحا ولا مزعجا، وقد قطعاه بين الحين والحين بتعليقات عادية مختصرة كي يتجنبا حدوث توتر محتمل. وبعد ان تناولت صحن حلوى واحتست فنجانين من القهوة، احست انه لم يعد هناك اي مجال لمزيد من التلكؤ.

وهذا ما شعر به رورك أيضا حين أشار لعاملة المطعم بان تأتيه بورقة الحساب. وسأل تيشا من باب التهذيب فقط بالرغم من علمه المسبق لجوابها:

- هل انت مستعدة للعودة؟

كانت عتمة الليل الحميمة قد عززت وجودها في الخارج وبدت السماء حالكة الا من نجوم قليلة تتلألأ من بعيد. القمر كان بعد هلالا وبدا شاحب اللون في الخلفية السوداء. ولما احتوتها سيارته البيضاء شعرت تيشا اكثر من اي مرة سابقة بجوها الداخلي الحميم، الا ان رورك بدا غافلا تماما عن وجودها قربه وهو يقود السيارة بصمت عبر الطرق الريفية الخالية.

لكن التوتر العصبي الذي استطاعا ان يتجنباه في اثناء العشاء احسته الآن يتملكها بسرعة مخيفة وهما يقتربان من بيته. لمحت اضواء بيت عمتها وخيل اليها انها كانت تغمزها من بين اشجار الصنوبر ثم ما لبث رورك ان انعطف بالسيارة الى الدرب المؤدي الى بيته.

وقفت الى جانبه بعصبية وهو يفتح الباب الامامي، والتفت عيناها

بالنظرة الشامتة والساخرة التي قذفها بها حين انتحى جانبا في انتظار عبورها امامه.

وغمغم معتذرا:

- لا اريد ان ازيد من حجم المهزلة بحملك فوق العتبة.

ردت بصوت متوتر:

- بالطبع لا اتوقع منك هذا.

ثم مرت به وعبرت بسرعة الى الردهة وحيث وجدت ان ذكريات زيارتها الاخيرة ما تزال حية زاهية بكل تفاصيلها. وعندما كبس رورك زر الكهرباء، رأت عدة حقائب مكومة عند الباب ثم لاحظت فورا انها حقائبها الخاصة، فسألته منزعجة:

- ماذا تفعل هذه هنا؟

اجابها بدون ان يظهر عليه اي استغراب:

- لا بد ان بلانش نقلت بعض ثيابك واغراضك الى هنا لظنها ربما بانك ستودين ارتداء شيء آخر في اليومين المقبلين بدلا من فستان الزفاف.

انحنى يحمل الحقائب واردف قائلا:

- سأوصلها عنك الى غرفة النوم.

لم يبد هناك شيء آخر تفعله سوى ان تلحق به الى غرفة الاستقبال وخطواته الواسعة الرشيقة تجعله يسبقها بالرغم من انه حاول التمهل. كانت النار تشتعل زاهية في الموقد، واضواء السقف المخفية تنشر نورا خافتا.

توقفت تيشا عند اسفل الدرجات الثلاث حين وقعت عيناها مصادفة على ابريق شراب من البلور المنقوش تنزلق عليه من الخارج قطرات ماء متعرقة، وكأن بدا سحرية احضرته قبل هنيهات من الثلاجة. ورأت الى جانبه كأسين من البلور المماثل متكئتين على صينية فضية.

وسألته بصوت كالجليد:

- كيف وصل هذا الى هنا؟

فالتفت رورك عبر كتفه وعيناه تلاحقان أصبعها المشير الى مكان الابريق، ولم يستطع ان يخفي ابتسامة مرح قفزت الى شفتيه واجاب بمرح قائلا:

- يبدو لي انه هدية شراب من والدك لنحتفل بليلة زفافنا وسنكون سخيفين اذا لم نستمتع بشربه باردا. ما رأيك ان تملأي الكأسين لينما أوصل اغراضك الى الغرفة الأخرى؟

لم ينتظر منها جواباً على اقتراحه وتابع طريقه الى غرفة النوم حاملاً الحقائب بيديه وتحت ابطه . . . وسارت تيشا بجمود الى حيث الأريكة ووقفت تحدق بغضب الى الأبريق البلوري والكأسين الفارغتين. ثم راح خيالها يصور المشهد الذي من المفروض ان يرشح عن جلستها مع رورك امام الموقد الدافىء وتحت الأضواء الحميمة وهما يحتسيان الشراب المنعش. وكانت ما تزال شاردة في تخيلاتها عندما رجع رورك الى الغرفة. واستفسرها دونما حاجة الى السؤال:

- ألم تملأي الكأسين بعد؟

- فضلت الانتظار حتى تعود.

تحاشت الجلوس على الأريكة واختارت احد المقعدين الوثيرين الى جوار الموقد، وأخذت تراقب رورك من طرف عينيها وهو يجس برودة الأبريق ثم يقلب الكأسين المكفئتين على الصينية وينظر اليها متسائلاً.

فاجابته باختصار:

- لا اريد شيئا لي.

- كما تشائين.

ابتسم متظاهرا باللامبالاة وسكب كأسا لنفسه.

وبعزيمة تامة حسدته تيشا عليها، نزع سترته الأنيقة وارخى ربطة عنقه قليلاً قبل ان يسترخي جالسا على الأريكة. وعندما تناول جريدة عن الطاولة وشرع يتصفحها بهدوء واسترخاء، لم تستطع ان تتأكد هل هو يتجاهلها عن تعمد ام انه غير مهتم بالفعل لوجودها. الشق الثاني من التساؤل طعن كرامتها الأنثوية، اذ ان قربه عاد يثير فيها تلك الأحاسيس العميقة الرائعة.

وهتفت تقول بسخط انتقامي:

- كيف يمكنك ان تأخذ راحتك في الجلوس والقراءة بهذا الشكل؟ أليس هناك شيء آخر يمكنك ان تفعله؟

فطوى صفحة واحدة من الجريدة ليستطيع النظر اليها وسألها بهدوء تام:

- مثل ماذا؟

- كأن تفكر في ايجاد طريقة لانهاء هذا الزواج السخيف!

- يجب ان ننتظر قليلا حتى يحين الوقت المناسب لذلك.

وارتفعت الجريدة ثانية لتحجب وجهه عنها. فسألته باصرار:

- ولماذا ننتظر؟

- لانك تعرفين مثلما اعرف ان والدك لن يتقبل ابدا فكرة انهاء الزواج اذا حاولنا الانفصال غدا صباحا.

غاض اللون تماما من وجهها واستفسرته بصبر نافد:

- ما هي المدة التي يتوجب علينا انتظارها؟

- بضعة أشهر.

جف ريقها فسألته بصوت واجف:

- وماذا سيحدث في هذه الأثناء؟

طوى الجريدة والقاها على الأريكة قربه ثم صوب اليها نظرة رصينة وقال متظاهراً بالاستغراب:

- لست متأكدا مما تقصدين.

خيل اليها ان هذه اللعبة لن تنتهي، لعبة شد الحبل. . . لعبة القط والفأر السجين في القفص. . . احست كل عضلاتها تتقلص ويصل التقلص الى اصابعها التي راحت تتشابك بعصبية في حضنها. . . وقالت اخيرا موضحة:

- اعني اين ستكون انت واين سأكون انا في خلال هذه الأشهر القليلة؟

فرد ببساطة متناهية ليشعرها بقصر نظرها:

- سنكون هنا بالطبع.

تملكها اليأس فهبت واقفة على قدميها وهتفت خائفة:

- في هذا البيت؟ ذلك امر مستحيل!

- لماذا؟

- انه صغير جدا وسوف نتعثر باستمرار ببعضنا بعضا.

- لا افهم علاقة كلامك بالموضوع.

اجابت تهتف بغضب:

ـ بل انت تعرف تماما ما أرمي اليه!

تجهم وجهه قليلا وقال بصوت جاف:

ـ ما الذي يقلقك بالضبط؟ هل تخشين من ان الاحتكاك المستمر كفيل باضعاف عزمك على ابقاء هذا الزواج، دعيني اتذكر ذلك التعبير الطريف الذي استعملته . . . اوه، تذكرت، زواجا اسميا فقط؟

فأعلنت تيشا بصوت مهزوم:

ـ انه الحل المنطقي الوحيد اذا اخذنا بعين الاعتبار الورطة التي نتخبط فيها. كما انه سيزودنا باسباب للطلاق غير قابلة للنقاش. لقد اتفقنا على ذلك من قبل!

فمرر اصابعه في شعره، واجاب بهدوء.

ـ لا انكر انك ارتأيت هذا الحل لمسيرة زواجنا المؤقتة، لكن لا اذكر اني وافقتك وقتها على رأيك هذا.

جمدها بجوابه كأنه سكب عليها ماء مثلجا. هل هو جاد في ما يقول؟ تفحصت وجهه بحثا عن الحقيقة واقنعت نفسها بانه يمازحها ليس الا، انما بتلك الطريقة البليدة التي تثير اعصابها.

ـ هل لك ان تكف عن مزاحك الساخر هذا؟

ـ اعصابك متوترة اكثر من اللزوم. لماذا لا تغيرين فكرك وتشربين كأسا من هذا الشراب المنعش؟

احسته ينهض من مكانه وسمعت صوت الابريق وهو يحتك بالكأس وانسكاب الشراب فيه ثم وجدت رورك يقف الى جانبها وهو يقدم لها الكأس المعبأة حتى حافتها تقريبا.

وقال بشرح بشيء من التهكم:

ـ هل نشرب نخب العريس والعروس السعيدين؟

توهجت عيناها بغضب وهي تراقبه يرتشف كأسه، ولقد ضايقها موقفه الهازىء من الوضع ككل واكثر بكثير مما ضايقها عدم اكتراثه، ولذا اعلنت بعزم، وبصوت مرتجف خافت:

ـ افضل مئة مرة ان اشرب نخب انفصالنا الوشيك.

ولكي تعزز كلامها بالبرهان، سارعت الى جرع كل محتويات الكأس تقريبا فيما كانت اصابعها المتقلصة تقبض على ساق الكأس بشدة حتى لتكاد

غضبها. فعالجها رورك بقوله:

ـ من السيء جدا للصحة ان تجرع السوائل دفعة واحدة بل ينبغي ان تحتسيها على مهل.

تجرعت بتمرد ما تبقى من الشراب ووقفت تحدق اليه لفترة وهي تتوق الى ان تقذف الكأس الفارغة على جدار الموقد الرمري وفي تعبير اخير عن تحمسها العنيد على مقاومته الى النهاية.

استطاع رورك ان يقرأ افكارها التخريبية المنعكسة في نظراتها المتوهجة حدة. فتمتم ببرود:

ـ ربما قررت ان تفعلي فارجوك الا تقذفي تلك الكأس على الموقد لانك لن تنتهي ابدا من التقاط كل تلك القطع الزجاجية المتناثرة من صوف السجادة السميك.

استفسرته وهي تلقي رأسها الى خلف بحركة عدائية متغطرسة:

ـ ما الذي يحدوك الى الظن باني سأرضى بالتقاطها؟

افتري شفتيه بلا اكتراث وقال هو يسير مبتعدا عنها بتكاسل:

ـ لانك الآن ربة البيت، والمحافظة على نظافته هي احدى واجباتك الزوجية.

ـ مسرور لك هذا الوضع، أليس كذلك؟ من اجل هذا السبب انت تسعى الى اعادتي هنا بضعة الشهر ولكي تؤمن لنفسك خادمة مجانية وطباخة وامرأة تقدم كل تلك الاشياء الاخرى.

تمتم بدون ان يطرف له جفن:

ـ ذلك في ان خدمتك ستكون لقاء لا شيء، بل ارجح بأن تطالبي بمصروف جيب ضخم.

زعقت تيشا كما الريح العاصفة:

ـ انا لا اريد شيئا منك! ولا حتى اسمك او مالك!

ـ ماذا تريدين مني؟

تقلص حلقها بألم حارق وشعرت بالحريق يمتد نزولا الى قلبها المعذب. انها تريد حبه وقوته وحنانه لكنها لن تستطيع ابدا ان تعترف له بهذه الحقيقة. وبدلا من ذلك، شدت قامتها بكبرياء واجابت:

ـ اريدك ان تتركني وشأني.

ثم استدارت بشموخ وبدأت تسير في اتجاه الردهة وقد استحال عليها الاستمرار في صد تعليقاته اللاذعة.

واستوضحها رورك وهو يظهر اهتماما هادئا:

- الى اين تذهبين؟

فردت باختصار:

- الى السرير.

- في هذا الوقت المبكر؟

فوافقته قائلة:

- صحيح ان الساعة لم تتخط التاسعة لكن علي ان افرغ حقائبي واستحم.

- كان بالفعل يوما محموما ومنهكا للاعصاب، ولن يضيرنا على الارجح ان نأوي باكرا الى الفراش.

فتمتمت بتهكم:

- لاول مرة نتفق على رأي واحد.

وسارعت الى عبور الردهة قبل ان يبديها جوابا ذا عيار ثقيل!

وجدت حقائبها مصطفة على السجادة قرب مؤخرة السرير. لم تكن لديها اية نية في افراغها نظرا الى تصميمها على عدم المكوث طويلا في هذا البيت، فلمت شفتيها بعزم واجم واخذت تبحث في الحقائب عن بيجامتها، واتضح لها اخيرا ان بلانش اغفلت ارسالها وبعثت بدلاً منها قميص نوم حريري، بدا انه سينساب بنعومة على جسمها ويظهر مفاتنه بشكل اجمالي.

أخذته مع روب ازرق وكذلك حملت حقيبتها الليلية الخاصة بادوات الزينة وهرولت الى الحمام الملاصق لغرفة النوم وهي تحاول جاهدة ان تبعد عن مخيلتها ذكرى تلك المرة المقلقة التي دخلته فيها. على الاقل، لن تضطر هذه الليلة الى ارتداء بيجامة رورك، فكرت بأسى موجع حين دخلت حجيرة الدوش واخذت تعدل حرارة الماء.

وبعد ساعة كانت قد لبست قميص النوم وتدثرت بالروب كي تغطي صدره المكشوف قبل ان تفتح الباب الى غرفة النوم. وفيما هي تعبر عتبتها رأت رورك يقف الى الجهة المقابلة من الفراش وكان منهمكا في فك أزرار

قميصه.

جمدت للحظة في مكانها ثم اتسعت عيناها حين رأته ينزع قميصه وسألته بلهجة لم تستطع ضبطها:

- ماذا تفعل هنا؟

فأجابها بليونة:

- لقد وجدت انك كنت مصيبة في فكرة النوم المبكر.

- انك لن تنام في هذه الغرفة؟

قصدت ان تقرر واقعا من خلال عبارتها لكن الحيرة التي شابت صوتها حولتها الى سؤال.

افتر ثغره عن ابتسامة ماكرة قبل ان يستدير ويجلس على السرير. اجابها وهو يوليها ظهره الاسمر:

- لست مستعدا لقضاء ليلة اخرى على الاريكة وحيث محاولة النوم عليها كمحاولة السير على الحبال.

فهتفت بنبرة حادة:

- اذن سأنام انا عليها لاني لست على استعداد لان اشاركك الفراش.

مشت بسرعة صوب الباب وهي تتوقع بخوف ان تمتد يده في اية لحظة لتقبض على ذراعها.

ولما فتحت الباب المؤدي الى الردهة استرقت اليه النظر من فوق كتفها فرأته ما يزال جالسا على الفراش وقد انهمك الآن في خلع حذائه...

وساءها اكثر من كل شيء، ان تشعر بخيبة امل لانه لم يحاول ثانيا ان يقنعها بالبقاء اذ كانت بعض عواطفها المستضعفة تحثها على ان تضرب بكبريائها عرض الحائط.

وفي غرفة المكتب، حدقت الى الاريكة بقنوط وقد اتضح لها انها نسيت احضار اغطية ووسائد، لكنها ترددت في العودة الى غرفة النوم حيث توجد الشراشف والوسائد وذلك لخشيتها من الاستسلام في حال حاول رورك ان يقنعها بالبقاء. وراحت تسير بلا هدف في ارجاء الغرفة بعدما قررت استحالة النوم بلا غطاء.

كان هناك جهاز اسطوانات مجهز بستيريو ومثبت في فجوة خزانة في الجانب الآخر من الغرفة، فجلست تقلب البومات الاسطوانات المصفرة

الى جوار الجهاز، وحين اختارت واحدة وضعتها على سطحه الدوار ثم عادت تضطجع على الأريكة كي تصغي بهدوء الى اللحن الحزين الذي انبعث من الأسطوانة وكانت تعرفه مجموعة من اوتار الكمان. رفعت ركبتيها حتى صدرها واسندت ذقنها عليهما وسرحت مع الأنغام الكئيبة التي اندمجت مع الحزن الكامن في قلبها.

وفجأة رأت ظلا ينطرح على الدرجات، ثم احست عضلاتها تتقبض حين رفعت رأسها لتحدق الى رورك من بعيد. كان تعبير وجهه شديد الهدوء مما اشعرها برعب جعل نبضها يتسارع ويلهب عنقها بايقاع وحشي.

- ماذا تفعل هنا؟

فاحتواها بعينيه الحالكتين قبل ان يرتقي الدرجات ويسير الى الزاوية حيث الستيريو الولول. اطفأه بحركة سريعة واجابها بلا انفعال:

- ليس لي نية ان اقضي الليل لاصغي الى الحان كئيبة كهذه.

كانت متأكدة من استطاعته سماع قلبها الخافق بعنف وسط ذلك الصمت الذي اعقب ضجيج الموسيقى، لكنها حاولت ان تبدو مثله، هادئة الاعصاب رابطة الجأش، وقالت بصوت ثلجي:

- هل لك ان تأتيني بوسادة وبعض الحرامات؟

- كلا!

نطق الجواب بهدوء بالغ والى حد أعجز تينا لوهلة اولى عن التحقق منه. ولما استوعبته، شمخت برأسها لا اراديا واستفسرته بتحد غاضب:

- ماذا تقصد برفضك هذا؟

لم يتحرك من مكانه في الزاوية المعتمة حيث اطفأ الستيريو واجابها من هناك:

- اقصد انك لن تحتاجي الوسادة.

صعبت عليها رؤية وجهه، وسألته وهي تتسلح بعدائية ظاهرية:

- لماذا؟ هل قررت ان تنام على الاريكة بدلا من السرير؟

سار ببطء وخطواته تطوي المسافة بينهما حتى وقف امامها مباشرة. قال وعيناه العنيدتان تأسران عينيها:

- كلا. وانت ايضا لن تنامي هنا.

احست طنينا في اذنيها وهي تهز رأسها بسلبية عصبية. وقالت بصوت مرتجف اضعف الثقة في كلامها:

- لا. لن اقضي الليل معك.

بسط ذراعيه ليجذبها عن الاريكة ويرغمها على الوقوف وهو يقول:

- أجل، ستفعلين ذلك.

حاولت التملص من قبضته وهتفت بشيء من الذعر:

- كلا. لن أنام معك. لا أريد أن أفعل ذلك.

فاختلجت شفتاه بابتسامة خلت من المرح وحتى من السخرية، وهتف قائلا:

- كفي عن الكذب! لا تحاولي التظاهر بانك لا تكنين المشاعر نفسها التي اكنها لك.

- لا! لا! ارجوك...

وحين ضاعفت مقاومتها على تحرير يديها رفعها بين ذراعيه بخفة وحملها كطفلة صغيرة هابطا بها الدرجات ومن هناك الى الردهة.

- انزلني الى الارض فورا!

كانت تلهث وتلبط الهواء بقدميها بلا نتيجة فيما احدى ذراعيها محتجزة بين صدرها وصدره والثانية يقبض عليها زوجها بقوة. وتابعت احتجاجها العنيد بقولها:

- لا اريد الذهاب معك الى الفراش! لا اريدك ان تلمسني! هذا ليس جزءا من اتفاقنا!

فاسكتها قائلا:

- لم يجر بيننا اي اتفاق. انت وحدك افترضت وجود اتفاق من هذا النوع.

كان باب غرفة النوم مفتوحا فعبر رورك بها العتبة واغلقه خلفهما بقدمه. نظرت من طرف عينها فرأت السرير وقد ازيحت عنه الاغطية، وتلوت في قبضته الحديدية بلا جدوى.

- كف عن ذلك! أتركني وشأني!

لكن صرختها كانت مجرد امل لفظي واه لانه استمر في حملها صوب السرير. وهنا التجأت الى الاهانات فهتفت ولا من مجيب:

- انت وحش كريه بدائي! وانا لست سبية من القرن الثالث قبل الميلاد يجرها كقائد روماني الى غرفة نومك.

تنهد بسخرية مرحة وانزلها الى الارض بدون ان يزيح يديه الملتصقتين ذراعيها بجنبيها وراح يراقب متلذذا محاولاتها الفاشلة للافلات منه. ثم قال باسما:

- هناك فقط طريقة واحدة لاسكاتك. هل تعرفينها؟

وجذبها بقوة الى صدره واوقف تدفق اهاناتها اللاسع بعناقه.

وللحظة عابرة استطاعت تيشا ان تقاوم ذلك الاعتداء العاطفي على حواسها، لكن لهفة حبه القوية والمقنعة سرعان ما تغلبت على تعقلها وما عادت قادرة على كتمان حبها دقيقة اخرى.

تنهدت بانهزام لذيذ وهمست وشوقها يرجف صوتها:

- رورك، اريدك ان تعلم اني احبك.

فغمغم وفمه لصق خدها:

- حزرت ذلك من البداية.

- رورك...

فقاطعها على الفور:

- انت تثرثرين كثيرا.

رفعها ثانية بين ذراعيه وحملها الى السرير وهو يسكت... كل محاولاتها الاخرى للكلام.

وفي ساعة لاحقة من الليل استدار اليها، وهذه المرة لم تبد تيشا ايا من مبادرات المقاومة السابقة بل استسلمت لغزله كليا.

وفي الصباح، عندما ايقظتها اشعة الشمس تسللت بهدوء على الفراش. القت نظرة سريعة على وجه رورك النائم والتقطت الروب عن الارض لترتديه وتغطي به كتفيها وذراعيها العاريين. فالسعادة المتناهية التي غمرتها برقة فائقة ليلة امس قد رحلت الآن وحلت مكانها الذكرى الموقظة بان رورك لم يكن يريد الزواج منها.

حدقت عبر النافذة الى الغابات البعيدة، وحاولت الا تكرهه لكونه استغل الموقف وجعلها زوجته بالفعل كما بالاسم. لقد اعترفت له ليلة امس بانه كان على دراية بحبها له وقد منحه هذا سلطة جديدة سارع الى

استخدامها كليا. وعلى الرغم من ذلك لم يخفف نور الصباح من رغبتها الاساسية العميقة في ان تقضي بقية حياتها الى جواره... ورورك كان يزمع على المباشرة في الطلاق بعد بضعة اشهر... ولاول مرة ادركت تيشا مبلغ الاذلال الذي يستشعره الانسان المغرم بانسان آخر يرفض حبه...

لن تبقى معه على كره منه ولن تتوسل اليه ابدا ان يعدل عن الطلاق! ليلة امس استسلمت لضعفها، اما اليوم فعليها ان تكون قوية وكذلك في كل الايام اللاحقة، وسوف تتسلح بكرامتها، التي هي فوق كل شيء، على اخفاء عمق حبها له لانها لن تحتمل ابدا ان يعيش معها من باب الشفقة فحسب.

استدارت عن النافذة وارسلت بصرا جائعا الى حيث يرقد زوجها الحبيب. كان مستيقظا ويرقبها بتكاسل وفي عينيه بريق داكن سرعان ما اوقد فيها شعورا متجاوبا، لكنها حيته ببرود:

- صباح الخير.

فانهض رورك جسمه مرتكزا على مرفقه واجابها متأملا وجهها بشيء من الاستغراب:

- صباح الخير.

ثم ضاقت حدقتاه قليلا وهو يردف:

- لا بد ان الغرفة اصيبت بموجة برد في اثناء الليل.

فتجاهلت تلميحه الساخر الى تحيتها الباردة وقالت بفتور:

- سوف اصنع ابريقا من القهوة. اذا رغبت في شيء منها يمكنك الذهاب الى المطبخ للحصول عليه.

ولكي تصل من النافذة الى الدرجات المؤدية الى الباب، كان عليها ان تمر بالسرير. ومع انها احتاطت لاي حركة قد تصدر منه ليمنعها من المرور الا انها لم تقدر ان تروغ من يده التي امتدت كلمح البصر وقبضت على رسغها. وسألها غاضبا:

- ماذا دهاك؟

حركته الفجائية هذه اسقطت الاغطية عنه وكشفت صدره العضلي الاسمر. تفتحت بتعبير جامد واجابته هازئة:

- لا ارغب في اية لعبة حب صباحية، فاترك ذراعي اذا سمحت.

تغضن جبينه بعبسة استغراب وبدا لها جذابا اكثر من اي وقت مضى وقد تبعثرت بعض خصلات شعره الذهبي على ذلك الجبين الحائر. واستوضحها بنبرة جدية هادئة:

ـ ماذا حدث للمرأة المحبة التي استكانت بين ذراعي ليلة امس؟

فأجابته بصوت هدجته موجة غضب خفي:

ـ ليلة امس كانت مجرد غلطة! وهذه الغلطة لن تتكرر بعد اليوم!

لقد آلت على نفسها ان تكون قوية وسوف تتشبث بهذه القوة مهما كلفها الأمر من جهد وعذاب..

لكنه جذبها اليه بعنف وحشي وجعلها تستلقي الى جانبه على الفراش، وراحت حدقتاه ترسلان شرارات خطر وهو يتفحص كل جزء صغير من قسمات وجهها المتمردة. اما هي فاستلقت الى جانبه بجمود وبدون ادنى مقاومة او محاولة هرب.

وتمتم يستفسرها بالحاح:

ـ ما علتك؟ هل انت خجلة مما حدث بيننا ليلة امس؟

ـ اجل!

جوابها التأكيدي المختصر صفعه بفعالية اكبر مما لو انها صفعته بكفها. استمر يحدق اليها مستغربا وسألها بأناة:

ـ لماذا هذا الخجل بحق السماء؟ اننا متزوجان يا تيشا.

فردت بسرعة وبازدراء جليدي:

ـ لا داعي لان نخوض في شرعية ما حدث.

ـ لقد حدث الزواج وكلانا لا يستطيع نسيان هذه الحقيقة.

عادت اليها ذكرى تفاصيل الاحداث المؤلمة التي ادت الى عقد القران، فردت محتدة:

ـ كذلك لا استطيع ان انسى بانك ارغمت على الزواج مني كما لو ان والدي كان يقف خلفك مسندا على ظهرك فوهة بندقية!

وفجأة رأت البريق الوحشي يخبو من عيني زورك واذ به يلقي برأسه الى الوراء ويضحك بارتياح ظاهر. ثم ارتسمت على محياه ابتسامة آسرة، واحست انفاسها تختلج في صدرها حين عاد يحدق الى وجهها بتلك النظرة الشاملة الرقيقة.

وغمغم ونيران عينيه المستعرة تشعل قلبها بخفقات مجنونة:

ـ أهذا ما يقلقك اذن يا عروسي الحلوة؟ اعترفي ولا تخفي عني الحقيقة.

ابتلعت ريقها لتصد التوق الذي ارتفع الى حلقها وأجابت بنبرة قاسية:

ـ كان ما فعلته ليلة امس عملا شائنا مثيرا للازدراء، وذلك حين استغليت الوضع واستغليتني أيضا!

ـ ولماذا يعتبر ذلك عملا مثيرا للاحتقار ولي ملء الحق كونك زوجتي.

انه يسد عليها جميع الطرق ويصعب مهمتها الى حد الاستحالة! ماذا تفعل الآن وقد عادت شفتاه تتلمسان صفحة وجهها كما الريشة؟

لكنها استجمعت شتات قوتها وارغمت نفسها الى البقاء جامدة برغم كل تلك الرقة التي كان يحاول ادماجها فيها وقالت بتصميم:

ـ لا تغير الموضوع! ان والدي ارغمك على الزواج مني! اعترف بهذه الحقيقة!

توقف عن مداعبتها واجاب بحزم وهو يحدق الى عينيها المتوهجتين:

ـ لا أحد على وجه هذه الارض، باستثنائك انت ربما، استطاع ان يرغمني على فعل أي شيء. هذا ما اريدك ان تفهميه جيدا يا تيشا كالدويل ماديسون!

فاستفسرته بغضب:

ـ هل تنكر بانك ابديت عدم رغبتك في زواجنا؟

فرد على الفور:

ـ ان انفي ذلك بتأكيد شديد.

حدقت اليه بفم مفتوح من شدة الاستغراب، فسألها مداعبا وقد كست فمه ابتسامة شيطانية:

ـ وأخيرا، هل استطاعت القطة ان تسرق منك لسانك؟

ـ هل تقصد القول... هل تعني انك...

وارعبها ان تلفظ السؤال خشية ان تكون قد اخطأت فهم قصده.

فلمس مفرق شعرها الحريري باصبع دافئة وقال بروية وهدوء:

ـ عنيت بكلامي اني أحبك، واني رغبت الزواج منك بكل جوارحي، واردتك ان تحملي اطفالي في احشائك في مستقبل الايام، وانك الوحيدة التي اردت ان اراها تجلس على كرسي هزاز الى جانبي عندما يدركنا العجز

معا. هل تريدين مزيدا من التأكيد يا تيشا؟

شهقت بفرح رائع لهذا الاعلان الرقيق والواضح عن الحب.

- اذن لماذا... لماذا قال بابا...

كانت افكارها لشدة الفرح تركض في اتجاهات عديدة مما أعجزها عن طرح السؤال المقصود وفي الأخير استفسرته قائلة:

- لماذا فكرت اذن في تأجيل الزواج؟

- لأني اردتك فقط ان تتأكدي من حبك لي.

راحت اصابعه تتلمس حدود فمها الناعمة واردف مفسرا:

- كل ما جرى كان يمكن ان يكون اقل تعقيدا لو ان اباك لم يأت في الاسبوع الماضي، فظهوره المفاجىء على مسرح الأحداث وضعك في موقف دفاعي، ولذا اقترحت ان تمدد فترة الخطوبة وحيث اعطيك الوقت الكافي لتحققي من حبك لي ولتعترفي به بالتالي، لكن والدك لم يقتنع بالحاجة الى ذلك. ويوم اهديتك الخاتم كنت واثقا تمام الثقة من انك تحبينني لانك لست من النوع الذي يأمن شخصا آخر على سعادته ومستقبله الا اذا كان يحب ذلك الشخص.

فعمغمت وكأنها في حلم متعدد الالوان كقوس قزح:

- رورك، احبك اكثر مما تتصور، ولم اعترف لنفسي بهذا الا مؤخرا وذلك عندما تعاهدنا على قدسية الزواج في المعبد.

وزحفت يداها تلقائيا الى عنقه واردفت:

- المشكلة اني عجزت عن التصديق بانك تبادلني حبي.

فامرها باسما:

- اذن لا تشكي بعد اليوم في صحة حبي.

لمست شفتيه لمسة خفيفة وهمست وعيناها تومضان بالق سعادة ماكر:

- اعتقد انك قد تضطر الى اثبات ذلك في كل يوم من سائر ايام حياتك.

فاجابها وذراعاه تقربانها من صدره:

- سأفعل ذلك بكل سرور.

ثم نظر في عينيها الراقصتين واردف:

- آمل ان تكوني الآن قد صرفت النظر عن صنع القهوة؟

- أية قهوة؟

وابتسمت تيشا وهي تستعد بلهفة لاستقبال سعادتها مع رورك.